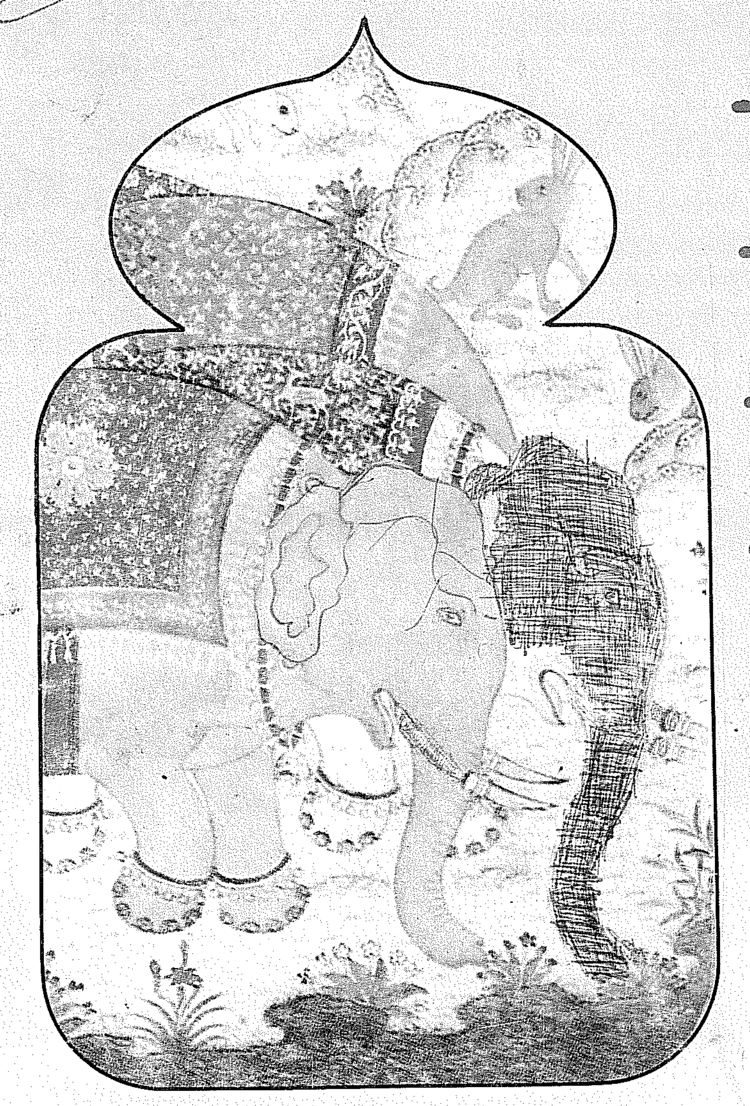
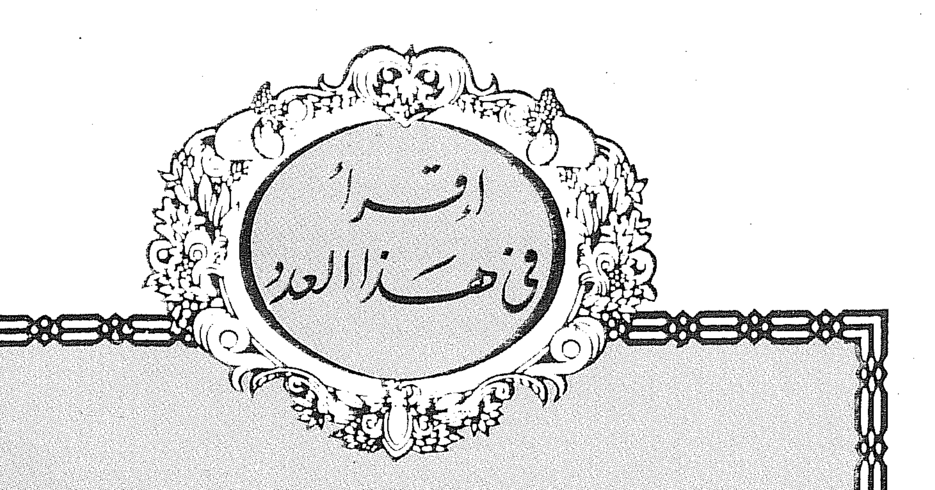


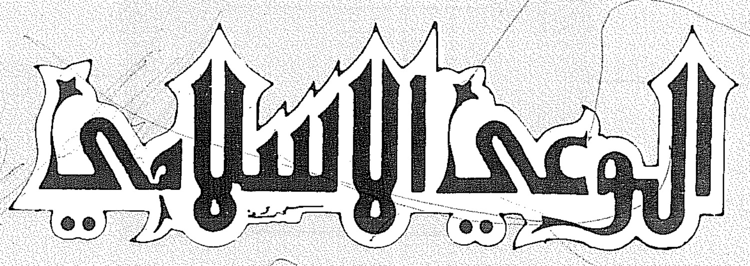
إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٣٠٢ - ربيع الأول ١٤١٠ هـ - أكتوبر ١٩٨٩م

هدية العدد
مجلة
براعم الإيمان




إقرأ
في هذا العدد



AL - WAIE AL - ISLAMI

العدد ٣٠٣ ـ ربيع الأول ١٤١٠ هـ / أكتوبر ١٩٨٩م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	٢٥٠ فلسا	تونس	٥٠٠ مليم
مصر	٥٠ قرشاً	الأردن	٥٠٠ فلس
السودان	جنيه واحد	اليمن الشمالي	٤ ريالات
السعودية	٤ ريالات	قطر	٤ ريالات
الامارات	٤ دراهم	سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
البحرين	٣٠٠ فلس	المغرب	٥ دراهم

بقية بلدان العالم

ما يعادل ٤٠٠ فلس كويتي



الرحمة المهداة

حب الله ورسوله :

مع إطلالة شهر ربيع الأول من كل عام، يتنافس المسلمون في كل مكان من الأرض في إحياء ذكرى مولد النبي الأكرم، تعبيرا عن الحب والولاء له صلى الله عليه وسلم، ومما لاشك فيه أن الحب الذي يرضي الله ورسوله، يتمثل في اتباع الهدي النبوي والسير في ضوء النور الذي أنزل معه، قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران / ٣١.

الاسلام ورسوله رحمة للناس:

في ظل الاسلام أحس الناس بنعمة الأمن والسلام إذ هو القادر على جمع القوى المتناثرة، والقلوب المتنافرة في ظل أخوة تعلو على حدود الأجناس والأوطان، ومن خلال وحدة تتلاشى أمامها الثارات وتتحول العداوات إلى حب

وتسامح وودّ وصفاء، ومع مطلع فجر الدعوة، وبمنهج القرآن والسنة أقر الاسلام حقوق الانسان، واعترف كثير من غير المسلمين بفضل هذا الدين الذي أنقذ الانسان من ظلم أخيه الانسان، وأوقف مسلسل الرعب والعدوان الذي أحل سفك الدماء وقتل الأبرياء ونهب الثروات ووأد البنات، ورحم الله هذا العالم المضطرب فأرسل النبي الخاتم رحمة مهداة وصدق الله العظيم : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/ ١٠٧.

فضل الاسلام على البشرية :

وبالنبع الاسلامي الطهور، زالت أقذار البشر وعادت فطرة الناس من جديد الى الصفاء والنقاء والتراحم، ومن هنا إذا جاز للمسلمين الاحتفاء بذكرى نبيهم، وغالوا بشرف الانتساب اليه. فغير المسلمين يفرض عليهم الانصاف في الحكم والعدالة في الفكر أن يتجردوا من التعصب، وأن يذكروا بكل تقدير فضل الاسلام، وهو ينتزع من قلب الليل المظلم فجرا صادقا ينير الطريق لمسيرة الأمن والتراحم والسلام، فهو الذي قرر حقوق الانسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، وهو الذي أنصف الانسان كإنسان من منطلق عموم الرسالة المحمدية، رضي بذلك المعاندون أم كرهوا وصدق الله العظيم : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون). سبأ/ ٢٨

أرسى الاسلام موازين الحق والعدل:

وفي ضوء الحق المنزل أعلن نبي الرحمة حقوق الانسان ووضع في الأرض موازين الحق والعدل والمساواة، وأسمع الدنيا أن الانسانية معنى مشترك بين الناس جميعا، ورفض رفضا حاسما أن تكون اللغة أو اللون أو الجنس مثار تمييز وتفاضل، أو سبب فرقة وقطيعة واستعباد، وبكل اعجاب وإكبار استمع التاريخ الى النداء المحمدي. أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم و آدم من تراب،؟؟ أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب . بالايمان والاذعان لبى المسلمون هذا النداء، وتأثروا به في كل مراحل التاريخ، مما جعل غير المسلمين يدخلون في دين الله أفواجا، حين أحسوا بعدله ونعموا برحمته، وعلموا أنه خير دين ارتضاه الله لعباده، نعم اقتنعوا به وهو يوفر الأمان للخائف ولو كان مشركا كما تصرح بذلك الآية الكريمة: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) التوبة/ ٦

الأسير في الاسلام :

هذا وفي الوقت الذي ألف الناس فيه إذلال الأسرى، كما استباح الفرس والرومان دماءهم، يبادر الاسلام بالدعوة الى رحمة الأسير الانسان، أعلنها النبي صلى الله

عليه وسلم وهو في قمة الانتصار في موقعة بدر أمر بالاحسان إلى الأسرى،وفرقهم على أصحابه إلى أن يتم فداؤهم وقال: «استوصوا بالأسارى خيرا». أين قادة الحروب من هذه القيم الاسلامية الخالدة؟ لقد سجل تاريخ الحرب العالمية الثانية أحداثا مروعة، قضى فيها حكام بعض الدول الغربية أن يوسم الأسرى بالحديد المحمى وأن يموت الآلاف منهم موتا بطيئا عبر الجوع والمرض والتعذيب الوحشي، وقد ثبت أن «تشرشل» كتب في مذكراته يقول: «إن المبادىء الأخلاقية للحضارة الحديثة تقضي بأن يقوم المنتصرون بإعدام قادة الدول المقهورة في الحرب»!! بل اهتز الضمير العالمي واسودت صفحات التاريخ الحديث بحصد الأبرياء ضحايا القنبلة الذرية على (هيروشيما)و(ناغازاكي) استباح ذلك دول غربية قادت الحضارة المعاصرة ونادت بحقوق الانسان.

قتلت القنبلتان ما يقرب من نصف مليون انسان! بينما كان عدد القتلى من المسلمين والمشركين في جميع الغزوات والسرايا لم يتجاوز (١٠١٨) نفسا في فترة دامت من السنة الثانية الى السنة التاسعة من الهجرة! لأن نبي المرحمة واجه المواقف الصعبة بالحلم والحكمة، وبالرحمة التي فطر عليها، ومن هنا لم يتمرد عليه أحد سلما أوحربا، لا من أمناء سره، ولا من ولاته وأتباعه، مع حرص المنافقين في المدينة على إحداث ثورة وتفجير انقلاب يقضي على الدين الجديد، ولكنهم لم يجدوا ثغرة يتسللون منها الى صفوف الأمة وهي تلتف حول قائدها كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم .

الاسلام وحقوق الانسان :

تقررت حقوق الانسان منذ بداية التاريخ الاسلامي، وفي كل هذا التشريع الخالد أمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وسعد غير المسلمين بعدل الاسلام ورحمته، وما أعلنت دول العالم الحديث تشريع حقوق الانسان إلا في القرن الثامن عشر بالاضافة الى أنه لم يتجاوز مبنى الهيئة التي قررته ولم ينطلق هذا التشريع الى التطبيق عمليا في دنيا الناس، وما يزال الرجل الأبيض يستذل الرجل الأسود في أمريكا وقلب أوروبا وجنوب افريقيا، ومازالت العنصرية تسيطر على قادة الغرب وتدفعها الى مساندة اسرائيل وهي تمثل أبشع صور المفهوم العنصري في فلسطين، لقد غاب صوت تشريع حقوق الانسان في لبنان المطحونة، وفي بلغاريا وهي تعلن الحرب على الأقلية المسلمة، وفي دول أخرى حاقدة على الاسلام وأتباعه، لن يصلح المجتمع الدولي شرقا وغربا إلا إذا طبق المبادىء التي نادى بها الاسلام، وأين تشريع الأرض من تشريع السماء؟ فليكن احتفاؤنا بذكرى المولد النبوي عملا بكتاب الله وسيرا على هدي رسول الله، ويقينا بأن هذا الدين لن يتقلص ظله ولن تُنكس رايته، وأنه الدين عند الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

رئيس التحرير

حسن مناع

قرآن لك

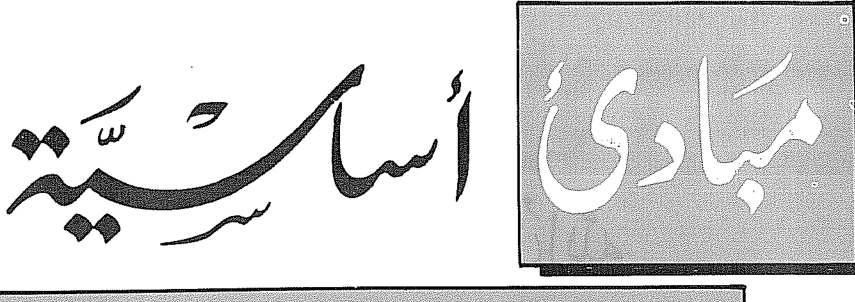
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه

جاء في الروض الانف الجزء الأول ص (١٨٢ و ١٨٣) مانصه:

سبب تسميته بأحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم: وأما محمد فمنقول من صفة أيضا، وهو في معنى: محمود. ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة. كما ان المُكرم من أكرم مرة بعد مرة، وكذلك: الممدح، ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه. والله ـ سبحانه وتعالى ـ سماه به قبل ان يسمى به نفسه، فهذا علم من أعلام نبوته؛ اذ كان اسمه صادقا عليه، فهو محمود ـ عليه السلام ـ في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم انه لم يكن محمداً، حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه؛ فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: اسمه أحمد، وذكره موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد، فبأحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وُجد وبعث، كان محمداً بالفعل.

وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يُشفع فيحمد على شفاعته. فانظر: كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود، وفي الدنيا والآخرة تَلُحْ لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين. وانظر: كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الأنبياء، وخص بلواء الحمد، وخص بالمقام المحمود. وانظر: كيف شرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال، وانقضاء الأمور: الحمد لله رب العالمين. قال الله سبحانه وتعالى: (وقُضى بينهم بالحق وقيل: الحمد لله رب العالمين) وقال ايضا. (وآخر دعواهم: ان الحمد لله رب العالمين) تنبيها لنا على ان الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور. وسن . صلى الله عليه وسلم ـ الحمد بعد الاكل والشرب، وقال عند انقضاء السفر: (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون).

ثم انظر لكونه ـ عليه السلام ـ خاتم الأنبياء، ومؤذنا بانقضاء الرسالة، وارتفاع الوحي، ونذيراً بقرب الساعة وتمام الدنيا، مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور، مشروع عنده ـ تجد معاني اسميْه جميعا، وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه، مطابقا لصفته، وفي ذلك برهان عظيم، وعلم واضح على نبوته، وتخصيص الله له بكرامته، وانه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تَكرِمَةً له، وتصديقاً لأمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرف وكرم.



مبادئ أساسية للتعامل مع السنة

١

للدكتور/ يوسف القرضاوي

ينبغي لمن يتعامل مع السنة النبوية، لكي ينفي عنها انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين ان يتشبث بعدة أمور، تعتبر مبادىء أساسية في هذا المجال :

أولا - أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة الاثبات، والتي تشمل السند والمتن جميعا سواء كانت السنة قولا أم فعلا، أم تقريرا.

ولايستغني باحث هنا عن الرجوع الى أهل الذكر والخبرة في هذا الشأن، وهم صيارفة الحديث الذين أفنوا أعمارهم في طلبه ودراسته وتمييز صحيحه من سقيمه، ومقبوله من مردوده . «**ولاينبئك مثل خبير**» فاطر/ ١٤ .

وقد أسس القوم للحديث علماً ثابت الجذور، باسق الفروع، هو للحديث بمنزلة علم أصول الفقه للفقه، وهو في الواقع مجموعة من العلوم بلغ بها العلامة ابن الصلاح (٦٥ نوعاً) .

وزاد عليها من بعده حتى أوصلها السيوطي في (تدريب الراوي على تقريب النواوي) إلى (٩٣ نوعاً) .

ثانياً ـ أن يحسن فهم النص النبوي، وفق دلالات اللغة، وفي ضوء سياق الحديث، وسبب وروده وفي ظلال النصوص القرآنية، والنبوية الأخرى وفي اطار المبادىء العامة، والمقاصد الكلية للاسلام، مع ضرورة التمييز بين ما جاء منها على سبيل تبليغ الرسالة، وما لم يجيء كذلك، وبعبارة أخرى: ماكان من السنة تشريعا وما ليس بتشريع، وما كان من التشريع له صفة العموم والدوام، وما له صفة الخصوص أو التأقيت، فان من أسوأ الآفات في فهم السنة خلط أحد القسمين بالآخر.

ثالثاً ـ أن يتأكد من سلامة النص من معارض أقوى منه، من القرآن، أو أحاديث أخرى أوفر عدداً، أو أصح ثبوتاً، أو أوفق بالأصول وأليق بحكمة التشريع، أو من المقاصد العامة للشريعة، التي اكتسبت صفة القطعية، لأنها لم تؤخذ من نص واحد أو نصين بل أخذت من مجموعة من النصوص والأحكام أفادت ـ بانضمام بعضها إلى بعض ـ يقينا وجزما بثبوتها.

السنة التي يرجع إليها في التشريع والتوجيه:

ان السنة هي المصدر الثاني للاسلام، في تشريعه وتوجيهه. يرجع إليها الفقيه لاستنباط الأحكام، كما يرجع إليها الداعية والمربي، ليستخرجا منها المعاني الملهمة، والقيم الموجهة والحكم البالغة، والأساليب المرغبة في الخير، المرهبة عن الشر.

ولا بد للسنة لكي تقوم بهذه المهمة أن يترجح لدينا ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يترجم في علم الحديث بأن يكون الحديث الذي يستشهد به صحيحا أو حسنا، والصحيح يشبه مرتبة الممتاز أو الجيد جدا في التقدير الجامعي. والحسن يشبه مرتبة الجيد أو المقبول، ولهذا كان اعلى الحسن قريبا من الصحيح، كما أن أدناه قريب من الضعيف.

وعلماء الأمة متفقون على هذا الشرط في الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام الشرعية العملية، التي هي عماد علم الفقه، وأساس الحلال والحرام.

ولكنهم مختلفون في الأحاديث التي تتعلق بفضائل الأعمال والأذكار والرقائق والترغيب والترهيب،

ونحوها، مما لايدخل في باب التشريع الصريح، فمن علماء السلف من تساهل في روايته، ولم ير في اخراجه بأسا.

وهذا التساهل ليس على اطلاقه، فله مجاله، وله شروطه، ولكن الكثيرين أساءوا استخدامه، فشردوا به عن سواء السبيل، ولوثوا به نبع الاسلام المصفى.

وكتب المواعظ والرقائق حافلة بهذا النوع من الأحاديث .

وكذلك كثير من كتب التفسير، حيث جاء فيها اخراج الحديث الموضوع الشهير في فضل سور القرآن وقد كشف الأئمة الحفاظ عواره، وبينوا بطلانه، ولم يعد هناك عذر لمن يرويه، ويسود به صفحات كتابه!

ولكن أمثال الزمخشري والثعالبي والبيضاوي واسماعيل حقي وغيرهم، أصروا على اخراج الحديث المكذوب.

بل أكثر من ذلك وجدنا مفسرا مثل صاحب (روح البيان) يبرر ذكر الحديث ويقف موقف المحامي عنه، حتى إنه ليقول فيجراءة يحسد عليها: في آخر تفسير سورة التوبة: «واعلم أن الأحاديث التي ذكرها صاحب «الكشاف» في أواخر هذه السورة، وتبعه القاضي البيضاوي والمولى أبو السعود رحمهم الله من أجلة المفسرين: قد أكثر العلماء القول فيها، فمن مثبت ومن ناف، بناء على زعم وضعها، كالإمام الصغاني وغيره.

«واللائح لهذا العبد الفقير سامحه الله القدير: أن تلك الأحاديث لاتخلو إما أن تكون: صحيحة قوية، أو سقيمة ضعيفة، أو مكذوبة موضوعة.

فإن كانت صحيحة قوية فلا كلام فيها، وإن كانت ضعيفة الأسانيد، فقد اتفق المحدثون على أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في الترغيب والترهيب فقط، كما في «الأذكار» للنووي، و«إنسان العيون» لعلي بن برهان الدين الحلبي، و«الاسرار المحمدية» لابن فخرالدين الرومي وغيرها.

وان كانت موضوعة: فقد ذكر الحاكم وغيره أن رجلا من الزهاد انتدب في وضع الأحاديث في فضل القرآن وسوره، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن، فأحببت أن أرغبهم فيه، فقيل له: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فقال أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له!!

أراد: أن الكذب عليه يؤدي الى هدم قواعد الاسلام، وافساد الشريعة والأحكام وليس كذلك الكذب له: فانه للحث على اتباع شريعته، واقتفاء أثره في طريقته. قال الشيخ عزالدين بن عبد السلام: «الكلام وسيلة إلى

المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب حرام، فان أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا، وواجب ان كان ذلك المقصود واجبا، فهذا ضابطه » انتهى.

ولا نملك هنا إلا أن نحوقل ونسترجع!

ثم ان المرء ليعجب غاية العجب ان يصدر مثل هذا الكلام من رجل حشر نفسه في زمرة المفسرين لكتاب الله، ووصفه بعضهم بأنه فقيه وأصولي! وأي فقه عند هذا الذي يجهل الأوليات عند العلماء المحققين؟!

جهل هذا الشيخ ان الله أكمل لنا الدين، وأتم به علينا النعمة، فلم نعد في حاجة إلى من يكمله لنا، باختراع أحاديث من عنده، كأنما يستدرك على الله تعالى، أو يمتن على محمد صلى الله عليه وسلم، يقول له: أنا أكذب لك، لأتمم لك دينك الناقص، وأسد مافيه من فجوات، بما اضعه من أحاديث!

أما كلام الامام ابن عبدالسلام، ففي موضوع غير هذا، مما رخصت فيه الأحاديث مثل الكذب في الحرب، واصلاح ذات البين، وانقاذ بريء فار من ظالم يطارده، ونحو ذلك مما هو مذكور في مظانه.

على أن كلام ابن عبدالسلام نفسه يرد على دعوى هذا المدعي، فقد ذكر ان كل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب حرام. وهنا نقول: ان كل الفضائل التي ترغب فيها الأحاديث المكذوبة، وكل الرذائل التي ترهب منها: يمكن التوصل إليها بالأحاديث الصحاح والحسان من غير شك، فالكذب إذن حرام بيقين، بل من أكبر الكبائر.

رد الأحاديث الصحيحة كقبول الأحاديث الموضوعة:

وإذا كان من الخطأ والخطل والخطر قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة، وعزوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمثله في البطلان رد الأحاديث الصحاح الثابتة بالهوى والعجب والتعالم على الله ورسوله، وسوء الظن بالأمة وعلمائها وأئمتها في أفضل أجيالها، وخير قرونها.

ان قبول الأحاديث المكذوبة يدخل في الدين ما ليس منه، أما رد الأحاديث الصحيحة، فيخرج من الدين ما هو منه، ولاريب ان كليهما مرفوض مذموم: قبول الباطل، ورد الحق.

وللمنحرفين والمبتدعين من قديم شبهات ودعاوى، كرّ عليها العلماء والمحققون بالنقض والإبطال.

قال الامام الشاطبي:

«وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إنما تفيد الظن، وقد ذم الظن في القرآن،

كقوله تعالى: «**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس** » النجم/٢٣. وقال: «**إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئا**» النجم/ ٢٨ وما جاء في معناه حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس تحريمها في القرآن نصاً، وإنما قصدوا من ذلك أن يثبت لهم من أنظار عقولهم ما استحسنوا .

والظن المراد في الآية وفي الحديث أيضا غير ما زعموا، وقد وجدنا له محالّ ثلاثة :

(احدها): الظن في أصول الدين، فانه لايغني عند العلماء، لاحتماله النقيض عند الظان، بخلاف الظن في الفروع، فانه معمول به عند أهل الشريعة، للدليل الدال على إعماله، فكان الظن مذموما إلا ما تعلق منه بالفروع، وهذا صحيح ذكره العلماء في (هذا) الموضع.

(والثاني) :أن الظن هنا هو ترجيح أحد النقيضين على الآخر من غير دليل مرجح، ولاشك أنه مذموم هنا لأنه من التحكم، ولذلك أتبع في الآية بهوى النفس في قوله: «**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**» فكأنهم مالوا إلى أمر بمجرد الغرض والهوى، ولذلك أثبت ذمه، بخلاف الظن الذي أثاره دليل، فانه غير مذموم في الجملة، لأنه خارج عن اتباع الهوى، ولذلك أثبت وعمل بمقتضاه حيث يليق العمل بمثله كالفروع.

(والثالث) : أن الظن على ضربين: ظن يستند الى أصل قطعي، وهذه هي الظنون المعمول بها في الشريعة أينما وقعت، لأنها استندت إلى أصل معلوم، فهي من قبيل المعلوم جنسه، وظن لايستند إلى قطعي، بل إما مستند إلى غير شيء أصلا وهو مذموم ـ كما تقدم ـ وإما مستند إلى ظن مثله ، فذلك الظن ان استند أيضا إلى قطعي ، فكالأول ، أو إلى ظني رجعنا إليه فلابد أن يستند إلى قطعي وهو محمود، أو إلى غير شيء ، وهو مذموم ، فعلى كل تقدير : كل خبر واحد صح سنده ، فلابد من استناده إلى أصل في الشريعة قطعي فيجب قبوله ، ومن هنا قبلناه مطلقا ، كما أن ظنون الكفار غير مستندة إلى شيء ، فلابد من ردها وعدم اعتبارها ، وهذا الجواب الأخير مستمد من أصل وقع بسطه في « كتاب الموافقات » والحمد لله .

ولقد بالغ بعض الضالين في رد الأحاديث، ورد قول من اعتمد على مافيها حتى عدوا القول به مخالفا للعقل، والقائل به معدود في المجانين.

وذكر الامام ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) كثيرا من الشبهات الكلية والجزئية، التي أثارها اعداء السنة، وأبطلها شبهة شبهة،

ولم يدعهم حتى أحال نارهم رمادا.

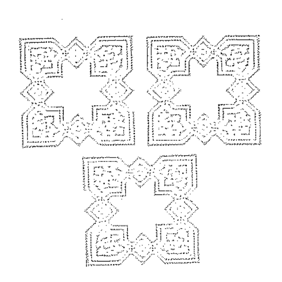
وفي عصرنا برز للسنة اعداء جدد، بعضهم من خارج ديارنا، كالمبشرين والمستشرقين وبعضهم من داخل الدار، ممن تتلمذ عليهم وتأثر بهم مباشرة، أو غير مباشرة.

ولقد استخدم هؤلاء المحدثون أسلحة الخصوم القدماء، وأضافوا إليها أسلحة حديثة، مما أوحت به ثقافة العصر، وأجلب هؤلاء وأولئك بخيلهم ورجلهم على السنة وكتبها ورجالها ومناهجها، وأيدتهم في ذلك جهات ومؤسسات ذات قدرات

ومكايد، ولكن الله تعالى قيض للسنة من جهابذة العصر من قاوم شبهات المشككين بالحجج البالغة، وأباطيل المزيفين بالحقائق الدامغة، «فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين».

وحسبنا من هؤلاء الفقيه الداعية المجاهد الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله، في كتابه القيم النافع «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» جعله الله في ميزانه، حسنات ودرجات عنده.

بيد أن الذي ألفت النظر إليه هنا هو رد السنة وصحاح الأحاديث بناء على فهم خاطىء لاح في ذهن امرىء غير متخصص ولا متثبت، مما يدلنا على ضرورة التأني والتحري والتدقيق في فهم السنة، والرجوع إلى مصادرها وأهلها، وهو ما ننبه عليه في حديثنا القادم إن شاء الله وللحديث بقية.





للاستاذ/ محمد بدر الدين بن حسن

علّقت شعوب العالم بأسرها آمالاً عريضة على ميدان التربية والتعليم.. رغبة أكيدة في نحت مستقبل جديد وتشكيل مجتمع رشيد.. بعد ويلات الدمار المرعب الذي خلفته الحرب الكونية الثانية..

لقد اعتقد الناس أن التربية بما تحمله من آفاق في صياغة العقول وهداية القيم قادرة أكثر من غيرها على تحقيق مشروع حضاري جديد ينهض بأعباء تحقيق الخير والسعادة لكل إنسان. وقد تنامى هذا الاهتمام وترافق بضروب من المساعي المضنية والأماني العذبة الرامية إلى تحقيق تنمية متكاملة تقوم على تعزيز طرق الاستفادة من نتائج العلم وتوظيفها في خدمة قضايا الانسان الراهنة.

ولم يكن عالمنا العربي الاسلامي بمعزل عن هذا الاهتمام أو التوجه.. فقد شهد جهودا معتبرة من أجل نشر التعليم وتطويره كأحد المسالك المهمة في عمليات الرقي والنهضة.

ولكن المهم في هذا التوجه يتعلق أساسا بمدى قدرته على رسم خطة دقيقة تستوعب شروط الوفاء اللازم لإرثنا الحضاري الاسلامي ومراعاة تحولات العصر لتوفير فعاليات المراجعة القويمة والنظرة المستقبلية السليمة.. ذلك أن أهم التحديات المطروحة في مجال التعليم والتربية تبقى دائما متعلقة بمدى نجاح الباحثين اليوم في أسس بناء الذات الثقافية الاسلامية وتأصيلها في الواقع عبر المؤسسة التعليمية.. ومدى نجاحهم في بلورة نماذجنا التربوية الأصيلة واستيعاب التجارب المعاصرة التي تواجهنا بها الأمم الأخرى.. ولهذا فإننا بحاجة إلى نوع من إعادة القراءة لما تركه أسلافنا في الميدان التربوي وان نضعه في مساره الموضوعي وهو الذي نسميه بمنهج التحصين الكفيل بتأصيل القيم التربوية المتعلقة بالآداب والمناقب والسلوكيات التي ينبغي ان تتصف بها الذات العربية المسلمة.

ومن المؤكد ان ما شيدته الحضارة الاسلامية من معالم نهضوية يرجع في التقدير الأول إلى البنيان التربوي والثقافي الذي أرسته تعاليمها في النفوس،، فاستطاعت أن تبدع ماأبدعته من نماذج حضارية في الفكر والعمران والمهارات العلمية المختلفة وهذه الحقيقة تطرح نفسها اليوم بإلحاح على كل المسلمين المهتمين بإحداث التغيير والتجديد المطلوبين، لأنها تتصل بأهمية العامل الديني والنفسي الذي تراءى أنه الضمان الأوكد في سلسلة الاصلاح والرقي بعد التعثرات المتكررة التي عرفها العالم الاسلامي بسبب إهمال هذه الوحدة العضوية.. ولأن البناء الحضاري في جوهره تراكم خبرات نظرية وتقنية، ولأن التاريخ حقل تجارب الفكر فلابد من الإيمان بأن نهضة أي مجتمع متخلف لا يمكن أن تتم إلا من خلال الشروط والظروف التي تم فيها ميلاده كما قرر المرحوم (مالك بن نبي) وهذا يعني بالضرورة امتلاك جملة من المقومات الفكرية والقيم التربوية تمثل رؤيتنا التي سننهض بتقديمها لأجيالنا الحاضرة واللاحقة في سبيل مد التربية بالروافد اللازمة لعمليات التمكين والتقدم.. المنبثقة من تصورات الاسلام ومفاهيمه العامة عن الحياة والوجود كفلسفة متكاملة المعالم تهدف في عمومها إلى تنشئة الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ويعمر الأرض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة ومبادىء الدين عن طريق جملة من الأهداف الفكرية المعرفية والأخلاقية والجهادية أرساها الرسول صلى الله عليه وسلم في واقع العباد وحياتهم اليومية وعلينا :

أن نستلهم من أنوارها الخالدة لتوجيه المناهج الدراسية في ظل المفاهيم التربوية الاسلامية العامة.

لقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من الأساليب التربوية من أجل بناء الشخصية الاسلامية مثّلها وطبقها في حياة الأمة لتكون منهجا شاملا في عمليات التربية والتوجيه والتعليم منها على سبيل المثال: منهجه صلى الله عليه وسلم في ترشيد استخدام التعابير وتصحيح المفاهيم الذي يمكن اعتباره من أهم الركائز التي تقوم عليها أساليب الرسول التربوية.. فهو مبدأ تأسيسي يحدد المفاهيم ويضبط المصطلحات حتى لايحصل تباين في التصورات واختلاط في المعاني.. حيث يعمد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى منهج تثوير العلم وتأسيسه على طريقة التساؤل عن كلمات وتعابير لها مفهومات شائعة عند الناس، حيث يستمع الرسول صلى الله عليه وسلم للإجابات ثم يقوم بتصحيحها وترشيدها وفق المنظور الاسلامي وقواعده المنهجية.. من ذلك مثلا أنه يسأل صحابته الكرام:

ـ (أتدرون من المفلس ؟)

ـ فيجيبون حسب المتعارف عليه عندهم: (المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع!!).

ـ فيجيء الهدي النبوي بعد ذلك موجها ومصححا: (المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا. فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المنهج التعليمي يهدف إلى تأسيس بناء فكري متين لدى أتباعه يغوصون بمقتضاه في رحاب الحكمة والنظر السديد.. والنفاذ إلى جواهر الأشياء ومكنونات الحقائق.. وإنا لنجد كبار الصحابة ثم العلماء العاملين من بعدهم يتلقفون هذا العلم وهذا المنهج ويستخرجون بفضله كنوزا باهرة أغنت المكتبة الاسلامية وغذت التراث العلمي الاسلامي بفيض غزير من بركات ذلك المنهج مثل كتابات : الامام الغزالي وابن القيم وفي موقف آخر وعملا بنفس الأسلوب يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه: (ما تعدون الصرعة فيكم؟)

ـ فيجيبون: (الذي لا يصرعه الرجال!!)

ـ فيقول المصطفى مصححا: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه البخاري ومسلم وأحمد. لقد بنى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا

الاسلوب قاعدة فكرية واضحة تقوم على الدقة والرسوخ والمتانة مهدت السبل لنشوء علوم التعريفات والحدود التي ارتكزت عليها مبادىء الرياضيات والفيزياء وسائر المعارف الدقيقة منذ (جابر بن حيان) إلى اليوم.. كما أسست الإطار الفكري الذي اشتقت من أهدافه ومفاهيمه النظرية التربوية الاسلامية.. حيث ترتبط جميع المناهج بهذا البناء وتقوم على أساسه المتميز.. ثم يأتي بعد ذلك دور الاستفادة التربوية من مختلف التجارب البشرية الناجحة مادامت لاتصادم هذا البناء ولا تناقضه. وإلى جانب ذلك اعتمدت المعالجة التربوية النبوية بعد منهج تصحيح المفاهيم على مبدأ البناء الجديد الذي يقوم على إتاحة قدر كبير من المقارنة النقدية الكفيلة بزعزعة الافكار القديمة وإحلال الجديدة محلها عن طريق الاختبار والتمحيص، من ذلك مثلا ان يعمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طرح المسائل على صحابته الكرام ليحرك سواكنهم ويختبر نباهتهم.. فقد ذكر الصحابي الجليل (عبد الله ابن عمر) ان الرسول صلى الله عليه وسلم سألهم مرة هذا السؤال: (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المؤمن فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي.

قال عبد الله: ووقع في نفسي انها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ماهي؟ يارسول الله! قال: هي النخلة) رواه البخاري.

وفي مواقع اخرى يلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طريقة تحويل السؤال وترشيده والاجابة عليه بما يقتضيه الحال والمقام من ذلك مثلا حديث تضييع الأمانة الذي اخرجه الامام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدّث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث. فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ماقال، وقال بعضهم : بل لم يسمع. حتى اذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يارسول الله. قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها ؟ قال: «اذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

على ان المثال الدقيق الذي يدعم أسلوب الرسول التربوي في ترشيد الأفهام ويكشف عن معقولية الاسلام يتجلى واضحا في إعراضه صلى الله عليه وسلم عن سؤال أعرابي آخر حول نفس الموضوع وإجابته بقوله: (ما أعددت لها؟) ففي هذا التحويل التقويمي دلالة تربوية عميقة وتدعيم للمسلك القرآني الدافع لميادين الفعل والبناء..

لقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو المبلغ لأمور الدين ـ أن يبين للناس أن البحث في قضايا الساعة والخوض في موعدها إنما هو خروج عن دائرة الحركية الإيجابية التي لا تعرف البحث في مالا طائل من ورائه.. لأن النظرة النبوية وطرقها التربوية تنزع دائما إلى ملء حياة المسلمين بما يبني أفهامهم ويصقل ذواتهم ويصلح أحوالهم في الدنيا ويؤهلهم للفوز بنعيم الآخرة.

وإضافة إلى تزكية المنحى الواقعي والموضوعي الذي ينبغي أن يسود حياة الناس تمضي التوجيهات النبوية في تدعيم تصحيح التصورات وبناء المفاهيم على مقتضيات الفطرة القويمة والفكرة السليمة مستبعدة كل أنواع الجدل والمسالك الجافة التي لاتؤدي إلى حق أو خير.

إن التوجه النبوي بفكر الانسان نحو حقائق الوجود وأسرار الكون ودفع الانظار إليها فضلا عن كونه يعبر عن أصالة المنهج التربوي الاسلامي يمثل ثورة فكرية وتربوية في مقياس الزمان سبقت كل المناهج التجريبية الحديثة القائمة على مبادىء التجريب والبحث المتعلقة بملاحظة الحقائق وجمعها ثم استخراج القواعد المعقولة منها.

وعلى صعيد آخر اتجهت المعالجة النبوية نحو أفق من آفاق النفس البشرية، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملته للمسلمين أخا كريما ومعلما حكيما يستعمل ألين الخطاب ويرشد إلى أيسر الأعمال ويهدي الى الاقتصاد في الطاعة وحسن المداومة عليها دون إفراط أو تفريط.. فمن منهجه التربوي صلى الله عليه وسلم أن يُقبل الانسان على ما يطيق من الأعمال بدون مبالغة أو إسراف: (عليكم من الأعمال بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا) رواه البخاري عن عائشة وفي حديث آخر رواه أبو هريرة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم موضحا أبعاد هذا المسلك الرشيد: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) رواه البخاري والنسائي.

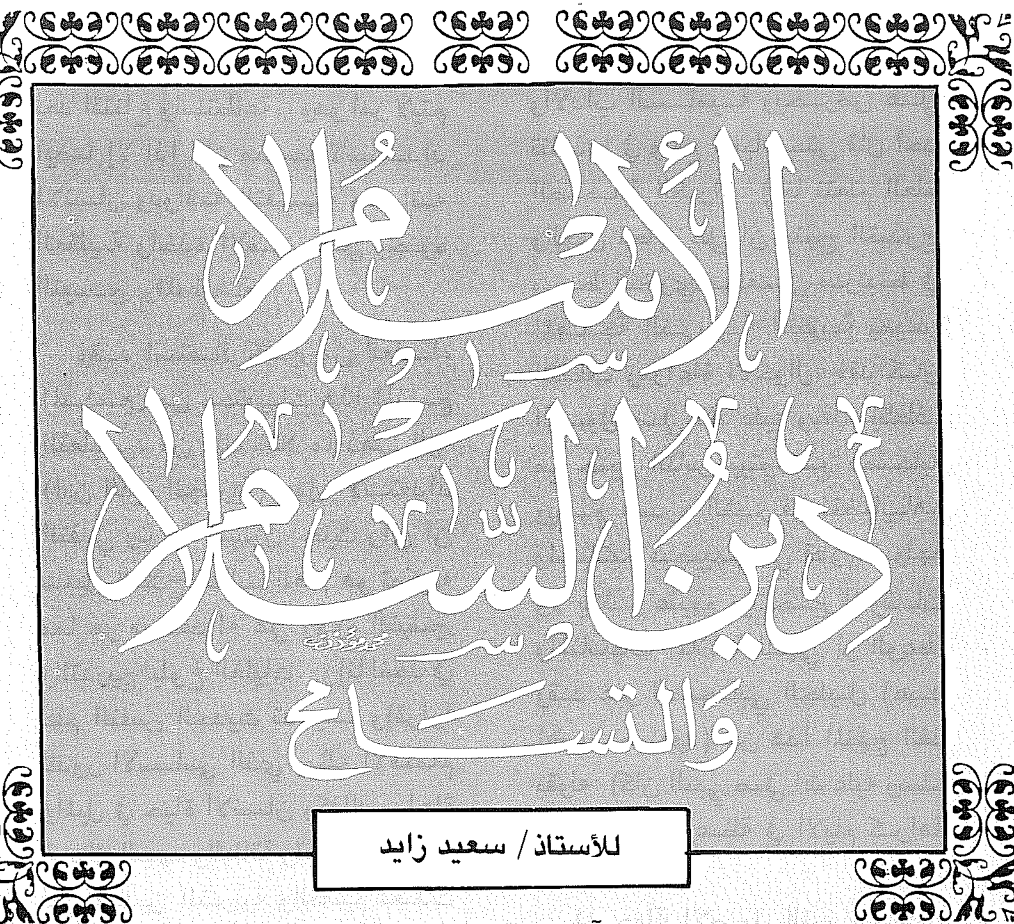
ومن الحقائق النفسية المعروفة اليوم والتي تستشف من توجيهات الرسول التربوية أن تحصيل المعرفة يختلف ويتفاوت حسب درجة الاستعداد والتهيئة الوجدانية لدى كل فرد وبالنسبة لجميع فروع العلم المختلفة.. وفضلا عن ذلك فهو مرتبط بنوعية ما يمكن المداومة عليه من تعلم لمختلف مهارات الحياة وأعمالها المتعددة.. ولذلك لا يمكن لإنسان ان يقوم بواجباته على الوجه الصحيح الا

بعد اقتناع واستطاعة.. وهو أمر لايتم أيضا إلا اذا كان مناسبا لاستعداد الانسان ودوافعه النفسية وقدراته العقلية وأخذه الأمور على وجوه التيسير والمداومة

وقد استفاد كثير من العلماء المسلمين من محتويات هذا المنهج التعليمي، من ذلك مثلا ما ذهب إليه (ابن القيم الجوزية) حول الاستعداد النفسي وتربية الميول، حيث رأى أن سبيل الفلاح لطالب العلم هو تمكينه مما هو مستعد له على وجوه التيسير والتدريج لبلوغ الغايات.. وإنا لنجد في علم النفس الحديث تدعيما وإقرارا للدور الأساسي الذي يمثله الاهتمام والميل في حياة الانسان وكذلك مراعاة أحوال الجهد والطاقة وقد انعكس ذلك على ميادين التربية والتعليم فغدت اهتمامات الطالب وميوله وقدراته محورها ورائدها واصبح همها تفجير تلك الميول في نفسه وترشيد أوقاتها الملائمة لجعلها المنطلق الأساسي في رحلة التعليم والتكوين.

لقد كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ العلم وهداية النفوس وفياً لطرائق القرآن في بناء الشخصية إلى أبعد الحدود، فقد كان يبين أحكام الكتاب المبين بتدرج رصين وينتزع العقائد البالية ويحارب المنكرات السائدة، وبعد ذلك يثبت بالتدريج أيضا العقائد الصحيحة والآداب السامية ويحرص على تنفيذها في واقع العباد حتى قال أحد الصحابة الكرام: (كنا نتعلم العلم والعمل معا). على ان منهج التدرج وربط النظري بالعملي مرتبط في المعالجة التربوية النبوية بمبدأ التلطف ومراعاة الاحوال، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلطف مع جميع الناس ويتواضع لأصحابه ويتسع صدره الشريف لقضاياهم واسئلتهم فيجيبهم على قدر عقولهم ولا يكثر عليهم ويتخير الأوقات والمناسبات الملائمة للنهي أو الوعظ، وقد عبر الصحابي الجليل (عبد الله بن مسعود) عن هذا المنهج الفذ بقوله: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا).

إن جملة الاصول التربوية التي أرساها المصطفى صلى الله عليه وسلم في واقع العباد في جوانبها النظرية والعملية كفيلة بدون شك بتحقيق أكبر قدر من الاستقلال الحضاري ان أحسنا الاستفادة منها وتأصيلها تأصيلا جديدا. ونريد من تربية اليوم أن تحيي تلك الاصول النبوية في النفوس وتجسدها في واقعنا الراهن بعد أن ضعف بريقها وحلت محلها قيم مادية تقيس الانسان بمقاييس الجاهلية الأولى التي جاء الاسلام نفسه لإبطالها وتحطيمها.



إن المتأمل المنصف في القرآن الكريم كتاب الله وفي الأحاديث النبوية ليروعه مدى احترام الدين الاسلامي لحقوق الناس على اختلاف أديانهم، سواء في العقيدة أو في شئون الدنيا.

فالإسلام لا يصح بغير إيمان بالأنبياء السابقين ، وما أنزل عليهم من كتب ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**» البقرة/ ١٣٦. فالمسلمون يقرون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، ويجلّونهما، وينزهون نسب عيسى، ويكفّرون من ينكر رسالتهما.

وقد دان المسلمون بما علمهم الله تعالى . إنه قضى ـ لحكمة يعلمها ـ بأن يكون الناس مختلفين في عقائدهم وأهدافهم وقدراتهم العقلية . فالذي يحمل الناس على الاتفاق في كل شيء مناهضٌ لقضاء الخالق سبحانه . قال تعالى : « **ولو شاء ربك**

لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين.إلا من رحم ربُّك ولذلك خلقهم » هود/١١٨و١١٩. وهذا لا ينفي واجب الدعوة إلى دين الله الخالد الذي ارتضاه للبشرية دينا.

إن الاسلام دين ودولة . ولذا فإن رايته تُظِلُّ جميع من يحيا على أرض الوطن ، لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، فقد وقف الإسلام حيال الأديان الأخرى جميعِها وحيال أهلها ، موقفاً إنسانيا كريما يتسم بالتسامح واحترام عقائد هذه الأديان وشعائرها ، فقرر من القواعد وسنَّ من المبادىء ما ينظم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين .

ومن أهم هذه المبادىء عدمُ إكراه أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **لا إكراه في الدين قد تبين الرشدُ من الغَيّ** » (آية ٢٥٦ من سورة البقرة) . ويقول مخاطبا الرسولَ عليه الصلاة والسلام : « **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » (آية ٩٩ من سورة يونس) . والاستفهام في الآية كما يقول اللغويون استفهام إنكاري ، ويقول تعالى : « **قل يـاأيها النـاس قد جاءكم الحقُّ من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** » . (آية ١٠٨ من سورة يونس) . ويقول : « **فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ** » (آية ٤٨ من سورة الشورى) . ويقول : « **نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد** » ، (آخر آية من سورة ق) ، ويقول تعالى : « **فذكِّر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر** » (آيتا ٢١ و ٢٢ من سورة الغاشية) .

وقد صدع المسلمون بما أمرهم ربُّهم به ، فلم يسلكوا ما سلكه غيرُهم من رجال الدين الذين كانوا ينادون في أتباعهم أن الله قد أمر بأن يكون البشرُ كلُّهم على دين واحد ، فيجب أن تعملوا على توحيد الدين ما وجدتم إلى توحيده سبيلا .

ويظهر هذا المسلك جليا عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين منع رجلا أن يرغم ولديه على الإسلام . فقد روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس أن رجلا من بني سالم بن عوف يقال له الحُصَيْن كان له ولدان مسيحيان وهو مسلم ، فسأل الرسولَ عليه الصلاة والسلام عما إذا كان يجوز له إكراههما على اعتناق الإسلام وهما يرفضان كل دين غير المسيحية ، فنهاه الرسولُ عليه الصلاة والسلام عن ذلك ، ونزل قولُه تعالى : « **لا إكراه في الدين** » البقرة / ٢٥٦ وجاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب في أيام خلافته في حاجة لها ، وكانت مشركة ، فدعاها إلى الإسلام ، فأبت ، فقضى لها حاجَتَها . ولكنه خشى أن يكون في مسلكه هذا ما

ينطوي على إكراهها على الإسلام ، فاستغفر الله مما فعل ، وقال : « اللهم إني أرشدت ولم أُكْرِه » ، وتلا قوله تعالى : « **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغَيِّ** » .

ويقف الإسلام موقفا إنسانيا كريما حيال الأديان الأخرى وأهلها فيما يقرره بصدد العلاقات بين البلاد الإسلامية وغيرها . فالأصل في هذه العلاقات أن تكون علاقات سلمية يسودها حسن الجوار وعدم الاعتداء وأنه لايجوز للمسلمين أن يقفوا موقفا عدائيا حيال أهل الأديان الأخرى ، إلا إذا بدأ هؤلاء بالاعتداء على المسلمين ، أو نكثوا ماكان بينهم وبين المسلمين من عهـود وظهرت منهم بـوادرُ الخيانة ، أو أحدثوا ما من شأنه أن يثير الفتنة ويعوقَ الدعـوة ويتهدَّدَ سـلامة الدولة . فهذه حالات ثلاث لا يجيز الإسلام الحرب فيما عداها .

فاذا بدأ غير المسلمين بالاعتداء على المسلمين ، فقد وضعوا المسلمين في حالة دفاع مشروع عن أنفسهم وبلادهم ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** » . (آية ١٩٠ من سورة البقرة) ، ويقول : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقـوا الله واعلموا أن الله مـع المتقـين** » ، (آيـة ١٩٤ من سـورة البقرة) ، ويقول : « **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** » (آية ٩٠ من سورة النساء) ، ويقول : « **وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** » (آية ٦١ من سورة الأنفـال) ، ويقـول : « **لاينهـاكم الله عن الذين لم يقـاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتُقْسِطُوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوهم ومن يَتَوَلَّهم فأولئك هم الظالمون** » ، (آيتا ٨و٩ من سورة الممتحنة) .

وإذا نكث غير المسلمين ماكان بينهم وبين المسلمين من عهود ، ففي هذا يقول الله تعالى : « **وإن نكثوا أيمانَهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمةَ الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** » (آية ١٢ من سورة التوبة) . ويقول : « **وإما تخافنَّ من قوم خيانة فانْبذْ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين** » ، (آية ٥٨ من سورة الأنفال) ، أي إن ظهرت بوادر الخيانة من قوم بينكم وبينهم ميثاق فارم إليهم عهدهم على طريقة مستوية ، بأن تخبرهم بالنقض ، وتدع لهم فرصة للاستعداد ، ولا تناجزهم بالحرب بغتة حتى لاتتهم بالخيانـة . ويقول :

« **ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومَهم كلما رُدُّوا إلى الفتنة أُرْكِسُوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويُلقوا إليكم السَّلَم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثَقِفْتُمُوهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** » (آية ٩١ من سورة النساء) .

وإذا حدث من غير المسلمين ما من شأنه أن يثير الفتنة ، ويعوق الدعوة الإسلامية ، ويتهدد سلامة الدولة ، فإنه عزوجل يقول في هذا : « **وقاتلوهم حتى لاتكونَ فتنةٌ ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** » ، (آية ١٩٣ من سورة البقرة) ويقول في آية أخرى : « **وقاتلوهم حتى لاتكونَ فتنة ويكونَ الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير** » ، (آية ٣٩ من سورة الأنفال) .

وقد حافظ الرسول عليه الصلاة والسلام على هذه المبادىء أيّة محافظة بعد هجرته إلى المدينة ، فلم تتجاوز حروبه هذه الحالات الثلاث ، سواء في ذلك حروبه مع مشركي العرب وحروبه مع اليهود ، وحروبه مع نصارى الغساسنة والروم .

فالمشركون هم الذين بدأوا بالاعتداء على الإسلام والمسلمين ، حتى لقد هموا بقتل المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستمروا في إيذاء من بقى من المسلمين في مكة بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، فلم يكن ثمة مفر من أن يبيح الله تعالى للمسلمين أن يقاتلوا المشركين دفاعا عن أنفسهم وعن عقيدتهم وعن المسلمين المضطهدين المقيمين في مكة المكرمة . وفي هذا يقول الله تعالى : « **أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير** » ، (آية ٣٩ من سورة الحج) ، وهذه هي أول آية أبيح فيها القتال بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة . ويقول في آية أخرى : « **ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربَّنا أخرجنا من هذه القرية الظالِمِ أهلُها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » (آية ٧٥ من سورة النساء) .

وقد كان الإذن للمسلمين بقتال قريش وحدها ، لأنها هي التي بدأت بالاعتداء . ولكن بعد أن أَلَّبَتْ قريشُ معظم قبائل العرب على المسلمين في غزوة الأحزاب ، أصبح معظم قبائل العرب عدوا للمسلمين . ولذلك وسَّع الله تعالى الإذن ، فسمح للمسلمين أن يقاتلوا جميع قبائل العرب التي أَلَّبتها قريش عليهم في غزوة الأحزاب . فقال تعالى : « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** » ، (آية ٣٦ من سورة التوبة) .

وكذلك الشأن بالنسبة لليهود ، فلم يقاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام

ويُجْلِهم عن ديارهم إلا بعد أن خانوا العهد وانضموا إلى مشركي قريش ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونُهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يُخْرِبُون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الأبصار . ولولا أن كتَب الله عليهم الجلاء لعذَّبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسولَه ومن يُشَاقِّ الله فإن الله شديدُ العقاب** » (آيات ٢ ـ ٤ من سورة الحشر) . فهم كما ذكر الله قد بدأوا بالمشاقَّة والاعتداء والخيانة .

وقد سار الخلفاء الراشدون على مبادىء ومثل دينهم القويم.

فقد حرم الاسلام على جيش المسلمين قتل الأطفال والشيوخ والنساء والمدنيين ، وحرم أيضا قتل رجال الدين ، وعدم التعرض لهم . فقد جاء في وصية أبي بكر لأسامة بن زيد ، قائدِ جيش المسلمين في قتال الغساسنة والروم: « ستجد قوما حَبَسوا أنفسهم في الصوامع ،فدعهم وما حبسوا أنفسهم عليه » . وهؤلاء هم رهبان النصارى الذين تفرغوا للعكوف على عباداتهم بحسب تعاليم دينهم .

ويوجب الإسلام على المسلمين ترك أهل البلد الذي يفتحونه أحرارا في عقائدهم وشعائرهم الدينية . وقد سجلوا ذلك في معاهدات كثيرة . وفي هذا يقول عمر بن الخطاب في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له : « هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أهل إيلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم لايُكرَهون على دينهم ولا يُضَارُّ أحد منهم » .

ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين بعد فتحه لمصر : « هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبحرهم ، لايدخل عليهم شيء من ذلك ولاينتقص». وكان الرومان قبل فتح العرب لمصر قد حاربوا المذهب المسيحي الذي كان يعتنقه المصريون حينئذ وهو المذهب اليعقوبي ، وحاولوا أن يفرضوا عليهم مذهبا مسيحيا آخر هو المذهب الملكاني الذي كانت تعتنقه روما ، وعينوا بطريكا ملكانيا على مصر ، وعزلوا البطريرك اليعقوبي المصري ، وهو الأنبا بنيامين الذي اختفى فرارا من بطش الرومان ، فلما تم تحرير مصر على يد عمرو بن العاص أعطى الأمان للأنبا بنيامين ، فظهر ، وأعاد إليه جميع مناصبه،وصرح له بفتح الكنائس اليعقوبية التي كان قد أغلقها الرومان ، وسمح لأتباع كل مذهب بممارسة شعائرهم وطقوسهم وفق تعاليم مذهبهم في حرية وأمن واطمئنان .

وقد أوجب الإسلام على المسلمين سلوك أحسن الطرق وأدناها ، إلى الأدب والمجاملة في مناقشاتهم الدينية مع أهل الأديان الأخرى . وأن يلتزموا جادة العقل والمنطق ، فيكون عمادُهم قرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، وفي هذا يقول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** » ، (آية ١٢٥ من سورة النحل) . ويقول مخاطبا المؤمنين : « **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** » ، (آية ٤٦ من سورة العنكبوت) .

ويقرر الاسلام ما يجب اتباعه مع غير المسلمين الذين يساكنون المسلمين في بلد واحد، فيرى ان لهم ما للمسلمين من حقوق، وتطبق عليهم القوانين القضائية وغيرها التي تطبق على المسلمين، الا ما تعلق بشئون الدين فتُحترم فيه عقائدهم، ولا يقف الأمر عند نصوص الشرع والقانون، بل إن المسلمين لمطالبون فوق ذلك بالمجاملة وحسن المعاملة، زيادة على ما تقتضيه النصوص. وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: فيما يرويه أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا من قتل نفسا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يُرَحْ رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا!) اخرجه الترمذي (جامع الاصول ٢: ٦٥١)

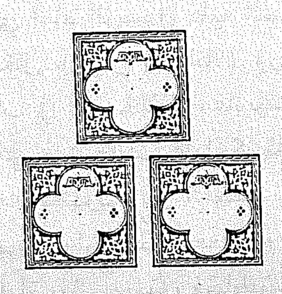
وعندما جاءت رسل نجران المسيحيون الى المدينة ليفاوضوا النبي صلى الله عليه وسلم، لم يمنعهم من أداء صلاتهم المسيحية في أثناء اقامتهم بالمدينة . ومرت جنازة يهودي أمام الرسول عليه الصلاة والسلام، فقام لها، فقيل له إنها جنازة يهودي، فقال: (اليس إنسانا؟). وروى ان يهوديا شكا عليّ بن ابي طالب الى عمر بن الخطاب في أيام خلافته، فاستقدم عُمر عليا، فلما مثلا بين يديه خاطب اليهودي باسمه في حين خاطب عليا بكنيته فقال له: (يا أبا الحسن)، جريا على عادته في خطابه معه. فظهرت آثار الغضب على وجه عليّ، فقال له عمر: أكرهت أن يكون خصمك يهوديا وان تَمْثُلَ معه أمام القضاء؟ فقال: لا، ولكنني غضبت، لأنك لم تكمل المساواة بيني وبينه، فخاطبتني بكنيتي وخاطبته باسمه.

فكما هو معروف: الخطاب بالكنية أسلوب من أساليب التعظيم في اللغة العربية. وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالجار، مسلما أو غير مسلم، روى مجاهد، فقال: كنت عند عبد الله بن عمر، وغلام له يذبح شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت هذه الشاه، فابدأ بجارنا اليهودي، قال ذلك مرارا. فقلت له: لم تقول هذا يا ابن عمر؟

فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه) مسلم باب البر. وأوجب الإسلام الإنفاق على الزمن (العاجز عن الكسب) وعلى الشيخ الفاني وعلى المرأة، إذا لم يمكن لهم من تجب عليه النفقة من أقربائهم، ولايفرق الإسلام في ذلك بين المسلم وغير المسلم. فقد روى أبو يوسف في كتابه الخراج أن عمر رضي الله عنه، مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان شيخا أعمى، ويبدو عليه أنه ذمي، فضرب عمر بعضده، وقال من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: وما ألجأك إلى ما أرى؟ أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، وأعطاه شيئا مما عنده، ثم استقدم خازن بيت المال وقال له انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، ورُد عنه الجزية وعن أمثاله، واجعل له رزقا في بيت المال.

وهكذا ترفع صفة التعصب عن الاسلام، فهو دين تسامح، ينهى نهيا باتا عن الاكراه، ولا يعتد الا بالعقيدة المنبعثة عن يقين واقتناع.

وبعد، فهذه قطرة من محيط زاخر بالعلوم والمعارف، ولبنة من صرح شامخ توطدت أركانه وتدعم بنيانه، أساسه الايمان بالله جل جلاله، وصدق فيه قول الله تعالى: (**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين.**) (التوبة / ١٠٩).





يشكل العالم الإسلامى اليوم قوة كبيرة بما لديه من إمكانيات بشرية وثروات اقتصادية ومزايا زراعية وصناعية هامة . وبالرغم من ذلك فإن التعداد الحقيقى لسكان العالم الإسلامي مازال موضع خلاف حتى اليوم نظرا لعدم وجود إحصاءات رسمية تفيد التقدير الصحيح لعدد المسلمين في دول العالم المختلفة .

وتبرز هذه المشكلة بصورة واضحة في حالة الدول الإفريقية ومعظمها دول حديثة الاستقلال وتنتمى إلى مجموعة الدول النامية التي لم يأخذ الكثير منها بنظام التعداد حتى الآن ، كما أن معظم تلك الدول تسير على مبدأ العلمانية أى فصل الدين عن الحكم واعتباره مسأله شخصية لا دخل للدولة بها ، ولهذا فإن الجهات المسئولة في تلك الدول تعتبر أن تحديد ديانة الأفراد في التعدادات السكانية هى مسألة غير ذات أهمية ، ويرى بعضهم أن مثل هذا التحديد يمكن أن يؤدي إلى مشكلات طائفية بين السكان كما حدث في بعض الدول الإفريقية مؤخرا .

وقد أصبح تعداد المسلمين في

العالم نتيجة لذلك مسألة تقديرية صرفة خضعت للهوى في كثير من الأحيان، وأصبح الاختلاف فيها واضحا ، فالمصادر الإسلامية تميل عادة إلى تضخيم أعداد المسلمين في العالم وذلك لإظهار قدرتهم العددية كقوة يمكن أن تؤثر في مجريات الأحداث على المستوى الدولى ، بينما تفضل المصادر الغربية (وهى مسيحية غالبا) التقليل من هذه الأعداد للتهوين من شأن المسلمين وقدراتهم البشرية ، وهم يعلمون جيدا مدى الزيادة الملموسة التي تحدث في أعداد المسلمين باستمرار والتي يقابلها زيادة طفيفة للغاية في أعداد أصحاب الديانات الأخرى

إن التقدير الحقيقى لعدد السكان والناتج عن توافر المعلومات والبيانات الإحصائية يعتبر وسيلة فعالة لتقدم السياسات الاقتصادية والاجتماعية لفترات طويلة ، وكذلك في رسم سياسات حكيمة في مجالات التنمية الثقافية والفكرية أو حتى في مجالات الدفاع الوطنى .

ونظرا للنقص الشديد في البيانات الإحصائية التي تعود إلى مصادر إسلامية فإن مصير الجماعات المسلمة في مناطق شتى من العالم الإسلامى يمكن أن يتحدد بدون علم من الأمة الإسلامية والرأى العام فيها، والأمثلة على ذلك شتى : فكم من المسلمين قد سمع عن المشكلات التي تعانى منها الأقليات المسلمة في بعض المناطق النائية مثل بابوا ـ غينيا الجديدة أو جزر سولومون أو مستعمرة نيوكاليدونيا الفرنسية وكلها تقع في جنوب المحيط الهادى . وكم من المسلمين يعرف النسبة التي يشكلها إخوانهم في الدين في تلك المناطق وفي غيرها من المناطق الأخرى النائية. والسبب في ذلك يعود أساسا في رأينا لغياب البيانات والمعلومات الإحصائية الخاصة بتلك الجماعات وغياب الإعلام الإسلامي الواعي أيضا .

إن الهدف الأيديولوجى الناتج عن توافر المعلومات والبيانات الإحصائية للسكان يتمثل في المعاونة على تفهم المشكلات الحساسة التي تتصل بتطور المجتمعات ومصيرها التاريخى .

ولقد دأب المستعمرون ومن يدورون في فلكهم من أبناء العالم الإسلامي على حجب البيانات والمعلومات الخاصة بسكان الأمة الإسلامية ، وهذا بالطبع يتمشى مع منطقهم الداعى باستمرار إلى التقليل من شأن الشعوب الإسلامية في منجزاتها التاريخية والثقافية وقيمها الحضارية ، وحتى في طاقاتها البشرية .

إن إدراك شعوب الأمة الإسلامية

لأهميتهم العددية يمكن أن يشكل عاملا ديناميكيا من الناحية الاجتماعية والثقافية والفكرية وبالتالى عنصرا هاما من عناصر القوة للأمة بأسرها ويجب أن نضيف هنا أن أهمية تقدير العدد الحقيقى للمسلمين في العالم باستخدام الدراسات والبيانات الإحصائية ليس فقط من أجل إظهار الوزن العددى لشعوب الأمة الإسلامية ، بل من أجل إبراز الحجم الحقيقى للأمة الإسلامية على مستوى العالم كله .

وعندما نرجع إلى تاريخ العالم الإسلامى المعاصر في بداية هذا القرن نجد أنه من أهم اهتمامات الدعاة والمفكرين المسلمين إثر الحرب العالمية الأولى هو التنويه بالقدرة العددية للمسلمين حيث شعرت الشعوب المسلمة لأول مرة بحجمها الديموجرافي وطاقتها البشرية في مواجهة المستعمر الغربى ، وظهرت الدعوة إلى التمسك بروابط الدين وتوحيد كلمة المسلمين حيث تستطيع الجماهير المسلمة بفضل قوتها البشرية ووحدتها وتضامن أفرادها وروح التضحية والفداء لديها أن تتدارك ضعفها تجاه الأقلية العددية من المستعمرين والمحتلين مهما كانت قوة سلاحهم ، وقد ظهر ذلك جليا في كتابات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى ومصطفى كامل وغيرهم .

وقد كان اهتمام المفكرين والباحثين في الغرب بموضوع تعداد المسلمين في العالم كبيرا ، وفاق كل الاهتمامات ، نظرا لأنهم يحسبون للقدرة البشرية كل حساب ، ويقلقهم دائما معدل الزيادة المستمر في أعداد المسلمين والذى يقابله ثبات أو زيادة طفيفة للغاية في أعداد غير المسلمين في سائر البلدان،وبخاصة البلدان المتقدمة في الغرب .

وقد تناول المرحوم الأستاذ عباس العقاد هذا الموضوع في كتابه (مايقال عن الإسلام) في اكثر من موضع فقال رحمه الله :

«ويتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول عدد المسلمين في العالم، وتاريخ الدعوة إلى الإسلام في الأزمنة الماضية وفي الزمن الحاضر، كما يتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول صلاح الإسلام للشيوع والإقناع وما ينتظر من زيادة عدد المسلمين في المستقبل بمختلف الوسائل التي تنتشر بها الأديان في سائر الأزمان»

فجعل الأستاذ العقاد مسألة تحديد العدد الحقيقى للمسلمين في العالم من المسائل الهامة المتصلة بأمر الدعوة ونشر الإسلام .

ويواصل المرحوم العقاد رؤيته لهذا الموضوع فيقول :

« وبعد مراجعة التقديرات المختلفة

أيقنا أن عدد المسلمين في العالم يزيد في كل حقبة على كل تقدير أوربى يذيعه الساسة والباحثون في شئون الدعوات الدينية ، وأن زيادة هذا العدد بصفة مستمرة يقابلها أولئك الساسة والباحثون بالحذر، ويذكرونها منذرين لأقوامهم بما يستنفرهم إلى الحيطة ومقاومة هذا الازدياد المستمر حيث تستطاع المقاومة في الخفاء وفي العلانية إن لم يكن لهم بدمنها»

وهكذا نرى أن الثروة البشرية المتمثلة في الاعداد المتزايدة من السكان المسلمين والتي يتميز بها عالمنا الإسلامى المعاصر هى من الأهمية بمكان إذا أحسن استغلالها في الأغراض المتعددة التي يصلح بها قوام البشرية مثل استخدامهم في استصلاح الأراضى وفي أغراض البناء والإعمار، وكقوة عاملة في المصانع المتطورة، وغير ذلك مما يعود على كل فرد في الأمة الإسلامية بالخير والرخاء .

كما أن معرفة التعداد الفعلى للمسلمين في العالم يمكننا من معرفة الحجم الحقيقي للأمة الإسلامية وبناء عليه فيمكننا أن نؤسس خططنا المستقبلية التي فيها صلاح الأمة ورخاء شعوبها، ونصبح كما أراد لنا الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس» آل عمران/ ١١٠ .

إن كثيرا من الدول المتقدمة الآن تعانى من النقص الحاد في الأيدي العاملة (القوى البشرية) فتستقدم أعداداً غفيرة من البشر من دول أخرى تنتمى إلى الدول النامية أو دول العالم الثالث (والكثير منها دول إسلامية) وذلك لكى تقيم لها صناعاتها وتسهم في توفير الرخاء والرفاهية لشعوبها، فنجد اليوم أعدادا كبيرة من العمال والمهندسين والأطباء وأساتذة الجامعات من المسلمين يعملون في الغرب بهمة ونشاط ويسهمون في تقدم ورقى تلك الدول وبالتالى في تقدم وتطور العلوم والتكنولوجيا العصرية . وبالرغم من ذلك فإن الغرب ينظر إلى زيادة المسلمين بحذر شديد وذلك خوفا من اليوم الذى يتفوق فيه المسلمون عليهم في العدد وهوما يمثل بالنسبة لهم انقلابا خطيرا في موازين القوى لغير صالحهم .

وفي النهاية نذكر القارىء أن عدد المسلمين في العالم اليوم في أقرب المصادر الغربية قربا من الواقع والمنطق وهو موسوعة (الأديان في العالم) التى أشرف عليها الدكتور دافيد باريت وأصدرتها مطابع جامعة اكسفورد قد بلغ حوالى ٨٥٤ مليون نسمة بنسبة ١٦,٨٪ من مجموع سكان العالم الذى أذاعه مكتب السكان بالأمم المتحدة في منتصف

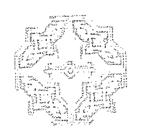
يوليو ١٩٨٨م والبالغ ٥٠٨٣ مليون نسمة .

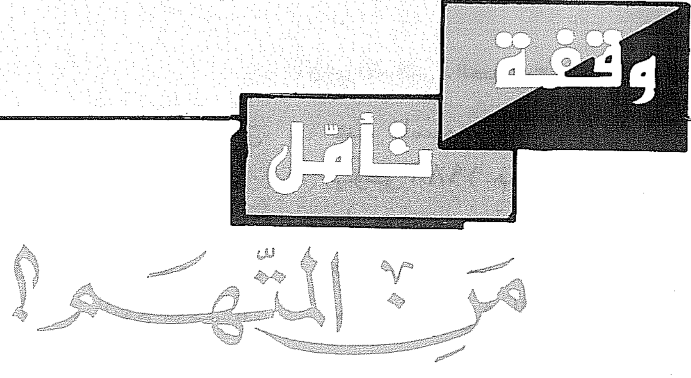
وقد قام كاتب هذا المقال بعمل احصاء شامل لعدد المسلمين في مختلف قارات العالم اليوم فوجد أن عدد المسلمين في العالم في منتصف يوليو ١٩٨٨ م قد بلغ نحو ١١٥٨ مليون نسمة بنسبة ٢٢,٨٪ من مجموع سكان العالم الآن. ويمكن حصر النتائج في الجدول التالى :

القارة	عدد السكان (بالمليون)	عدد المسلمين (بالمليون)	نسبهم المئوية
أفريقية	٦١٣	٣٤٦,٦٠٠	٥٦,٦٪
آسيا (بدون الاتحاد السوفيتى)	٢٩٥٤	٧٢٦	٢٤,٦٪
أوربا (بدون الاتحاد السوفيتي)	٤٩٥	١٧,٩٠٠	٣,٦٪
الاتحاد السوفيتي	٢٨٤	٦٠	٢١٪
أمريكا أمريكا (الشمالية والجنوبية وجزر الكاريبى)	٧١٢	٦,٥٤٠	,٩٪
أستراليا والاوقيانوسيا	٢٥	,٨٦٠	٣,٥٪
المجموع	٥٠٨٣	١١٥٨	٢٢,٨٪

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد المسلمين في العالم اليوم يزيد عن الألف مليون نسمة بحوالى ١٥٨ مليون نسمة ويفوق هذا العدد خمس سكان العالم .

ونحن نتطلع إلى اليوم الذي يكون فيه عدد المسلمين هذا عامل قوة وذلك بإظهار الطاقات المبدعة لشعوب الأمة الإسلامية والتى يمكن أن تؤثر في تأكيد دور المسلمين ومشاركتهم الفعالة في أحداث الساعة ومسيرة التاريخ، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم الهادى الى سواء السبيل .





● على امتداد أسابيع طويلة شغل الناس بحوادث قتل الزوجات لأزواجهن ... واتخذت « صحف الاثارة » من هذه الحوادث مادة لغلافها ... ورسومها ، « وكاريكاتيرها » .. وكتب الكاتبون والباحثون حول ذلك معددين الأسباب والدوافع وراء قتل الزوجات لأزواجهن ..

● ومعروف أن الناس في الغالب مولعون بقراءة صفحات الحوادث في الجرائد اليومية ، ويتسابقون في تناقلها ، والاضافة إليها ، والتعليق الساخر عليها ... ثم ينتهي الأمر ...

● ولكننا نرى أن المسألة جد خطيرة ... إنها تحتاج إلى لجان متخصصة ... تدرس حالة المجتمعات التي تقع فيها هذه الجرائم . وفي أي طبقة من طبقات الناس هي أكثر بروزا ... وظروف نشأة الجاني ... الى غير ذلك ..

● وأصل الحكاية :

● أن زوجة قتلت زوجها الذي يعمل طبّاخا في أحد الفنادق الفخمة .. وذلك بعد أن علمت أنه سيتزوج من أخرى . كما قيل ... فقد أمرها زوجها بمغادرة المنزل ، وأسكنها في غرفة على السطح هي وابنها ، فهي لم تعد تناسب مستواه ، بعد أن أصبح يرطن باللغات الأجنبية .

● وأخرى قتلت زوجها مدمن الزواج من نساء ثريات ... وبعد أن يجردهن من أملاكهن يطلقهن ... وأراد أن يسلك نفس المنهج مع هذه فقتلته .

● وثالثة قتلت زوجها الضابط بغير قصد عندما كانت تنظف سلاحه ، فانطلقت رصاصة أصابته في مقتل .

هذه الحوادث الثلاث وغيرها كانت حديث الناس ... وفي جو الاثارة تناسى الجميع أن هناك حوادث أخرى يرتكبها الأزواج أو الرجال .

● فسائق تاكسي حطّم رأس أمه . ثم جلس ينفث دخان سيجارته .

● وزوج مزق زوجته بالفأس .

● واغتال آخر صديقه ليتزوج من امرأته .

● وأخ ذبح شقيقته ليستولي على الشقة .

إذن الجريمة هي « جريمة أسرية » .. ولابد وراء ذلك من أسباب ... فما هي ؟

● نقول – أولا – نحن لسنا من المتخصصين في هذا الشأن ... وإنا لنهيب برجال القانون والاجتماع ، وعلماء الدين ، والدراسات النفسية أن يولوا الموضوع ما يستحق من بحث للوقوف على الظروف والمتغيرات والدوافع وراء ظهور هذا النوع من « الجرائم الأسرية » بهذا الكم .

● ونحن نعلم أن الجريمة قديمة وموجودة ، والقضاء عليها تماما شبه مستحيل ، ولكن الحد منها والعمل على إزالة الأسباب التي تؤدي إليها أمر ممكن .

● ونقول – ثانيا – من وجهة نظرنا ..

● إن هناك توترا اجتماعيا يسود علائق القطاع العام من الناس ... فالزوج لم يعد يحتمل مصاعب الحياة – والزوجة نفد صبرها فعندما يعود الزوج المتعب إلى بيته ، لا يجد الزوجة التي تخفف عنه همومه .. بل قد تضيف إلى همومه هما جديدا بطلباتها وطلبات الصغار التي لا تنتهي .

● ساد منطق « أنا وليكن بعدي الطوفان » فكل واحد يفكر في حل مشاكله الفردية ولو على حساب الجماعة ، وفي جو الأنانية والأثرة تنشأ الصراعات التي تصل إلى حد القتل .

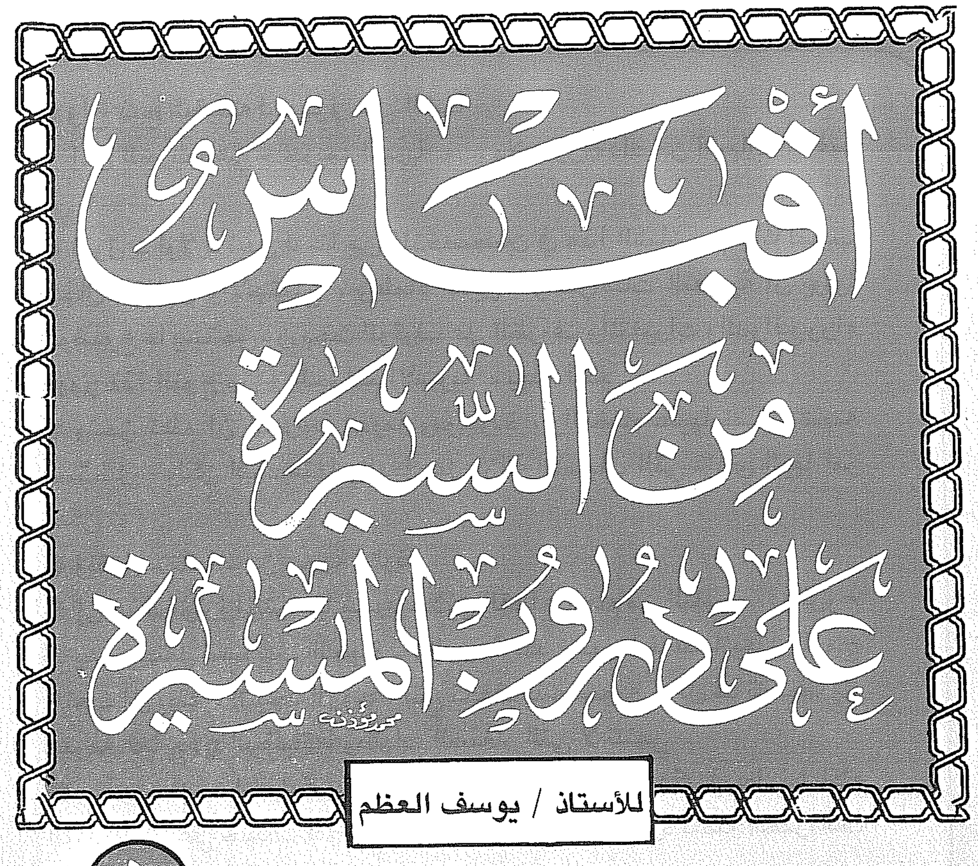
● الانفتاح على مطالب الحياة المادية بلا حدود .. والجري وراء المال للحصول عليه من أي طريق ، جعل أناسا يصعدون إلى القمة ، ويتصارعون عليها ... وأناسا بقوا في السفح ويتصارعون أيضا من أجل الحصول على لقمة العيش ونسمة الهواء .

● انقلاب حدث في نظام القيم الاجتماعية أمام هذا الزحام ، والبحث عن حلٍ فردي للسكن ، والعلاج ، والتعليم .

● وفي هذا الجو تزداد بؤر العنف ، واحتمالات التوتر ، وبخاصة في غياب تحكيم شريعة الله ، وتطبيقها في واقع حياتنا ... إن التمسك بالدين وأخلاقياته ، وصيانة حقوق الناس وحرماتهم فيه الانقاذ من الهاوية التي يتردى فيها الناس .

● إننا بما ذكرنا من أسباب لا نبرر الجريمة ، ولا ندافع عن القاتل ... بل نسأل : من المتهم ؟

فهمي الإمام



للأستاذ / يوسف العظم

١

الدعاة على طريق الرحمة المهداة :

يهتدي المسلمون الأبرار الملتزمون في مسيرة حياتهم بعد كتاب الله بهدي النبي صلى الله عليه وسلم سواء في مواقع الحكم والمسؤولية أو في مجال سلوك الفرد وبناء الأسرة وإقامة المجتمع الأمثل، وترقى بهم الحياة ويستقيم العيش وتسمو المسيرة حين يكون قدوة الأمة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق جاء عرضنا في هذا الباب واستنارتنا بأقباس من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على دورب مسيرة الخير والعطاء إنسانا نقيا ورسولا نبيا، رب اسرة وقائد أمة يهتدى بالوحي ويستمسك بعرى الحق في محكم التنزيل.

وما نقدمه هنا ليس سوى نماذج لخطوات سوية واثقة على طريق الهدى وسبيل الرشاد نعرضه أنموذجا أمثل واسلوباً اكمل في حياة

المعصوم وسيرة صحبه الأبرار من حوله مما ينير أمامنا السبل ويضيء لنا معالم على الطريق فإن وافق الفكر الذي نقدم روح النص واهتدى به واستند إليه فذلك الذي نبغي ونريد، وإن جانبنا الصواب أو حدنا عن الحق لاسمح الله غير قاصدين ولا متبعي ضلال إن شاء الله فإنا نسأل الله الهداية والسداد والمغفرة في يوم المعاد.

* رابطة العقيدة والدين أولى من رابطة التراب والطين *

تقوم بين الناس روابط شتى وعلاقات عديدة تتفاوت قوة وضعفا وعمقا وسطحية بتفاوت الأسس التي تقوم عليها تلك الروابط أو تنبثق منها تلك العلاقات. فمن الناس من يشده المال ومنهم من تشده آصرة القربى والرحم والمصاهرة، وبعضهم يميل مع المصلحة الخاصة حيث تميل.

والإسلام لايرفض قيام أواصر القربى والأرحام والمصاهرة بين الناس أو علاقات المنفعة المادية، أو روابط المصالح المشتركة على أن تقوم تلك العلاقات في ظل طاعة الله والإيمان به.

ومن هنا جاء الاسلام يدعو لصلة الأرحام والمودة في القربى والإخلاص في الصداقة ورعاية حق الجار وحسن التعامل مع الناس والرفق بالخلق أجمعين، كما دعا لتكريم الإنسان وصون حريته وحماية ديار الإسلام من أن يغزى شبر واحد منها أو أن يؤذى مؤمن أو يهان.

هذا هو الحكم الشرعي في موضوع الأواصر والعلاقات واولى الناس بالالتزام به والعمل بمقتضاه الدعاة إلى الله بخاصة وحملة الدعوة والعاملون في الحقل الإسلامي بعامة ومن هنا كان الواحد منا يعيش في أفياء المحبة وظلال الأخوة الحانية كلماالتقى بجمع من إخوانه أو ضمه معهم مجلس هادف أو لقاء كريم.

غير أن مما يسوء المرء أن تقع عينه في بعض الأحيان على نمط من الناس يقدم علاقة القرابة والنسب على علاقة الدعوة وأخوة الإيمان فيتمعر وجهه غضبا وتجحظ عيناه إذا ما قُوِّم من يَمتُّ له بصلة قربى أو ذكر بما لا يحب عند مناقشة أمر أو بحث قضية لها بذلك القريب ارتباط.

ويسوء المرء أكثر أن ينبري بعض الدعاة بعد ذلك ليتصدروا المجالس ويعتلوا المنابر ليحدثوا الناس عن التجرد وصلة الأخوة في الله ورابطة العقيدة التي لا تنفصم عراها.

أسأل الله ان يدرك جميع العاملين في الحقل الإسلامي وأنا واحد منهم معنى الأخوة في الله بعمق وصدق الانتماء لهذه العقيدة، وأن يكون الله

ورسوله ودعوته أحب إلينا مما سواهم، وإلا كنا نحدّث بما لا نؤمن به، وندعو الناس بما لا نطبقه في واقع دنيانا وممارسات حياتنا لا سمح الله.

إن مقياس صدق الرجل لدعوته أن يزن ذوي قرباه بالميزان الصحيح، وأن يقيسهم بالمقياس السوي وهو يتحدث عنهم في مجال الحديث عن الدعوة والدعاة والعمل والعاملين، لأن مثل ذلك الحديث المنصف الموزون هو الذي يبين مدى ارتباط الداعية بمقاييس الشريعة وميزان الحق الذي لا يضل ولا يغوى.

إن علاقتنا بالناس تقوم على أسس عديدة ومستويات متفاوته:

أولها: العقيدة والإيمان والتقوى.

وثانيها: علاقة التنظيم والعمل في جماعة واحدة لها صف متميز.

وثالثها: صلة الأرحام والمودة في القربى في إطار ما أمر الله به ونهى عنه.

ورابعها: علاقة الجوار الذي أوصى النبي الكريم بصاحبه، حتى ظن بعض الصحابة أنه سيورثه.

وخامسها: علاقة الصداقة والانسجام وفق انتقاء سوي هادف.

وسادسها: علاقة المصالح المشتركة المتبادلة في دنيا العمل ومحيط المال.

وقد تتداخل هذه العلاقات بعضها ببعض عقيدة وقربى وتنظيما وجواراً وصداقة ومصالح مشتركة فتقوم العلاقة على أساس متين من صفاء العقيدة وعمق الإيمان وصلة الرحم وقوة التنظيم وحسن الجوار وإخلاص الصداقة ونظافة المصالح المشتركة.

إن الدقة والإنصاف في التعامل مع هذه العلاقات والاعتراف بها في ظل شرع الله ومن منطلق المفاهيم الإسلامية والوعي الإيجابي أمر سوي يقره الإسلام ويدعو له، فلا تقديمها على علاقة العقيدة أمر مقبول لأنه خروج عن أوامر الله وحكم شرعه، ولا رفضها والتنكرلها مقبول بحجة أن عقيدة الإسلام هي العلاقة الوحيدة المعترف بها، ولكن الصواب والحق أن تقبل جميع العلاقات المشار إليها في إطار الشرع الحكيم ومظلة الحكم الرباني العادل.

* حفظ القرآن مهم ولكن حسن التلاوة وفهم معانيه وتطبيق أحكامه أهم: *

لا يختلف عالمان مسلمان على أن خير ما يملأ به المسلم جوفه كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم سور وآيات من القرآن العظيم، ومعلوم أن حفظ كتاب الله في الصدور وتطبيقه في واقع الحياة طموح يسعى له المسلم الصادق ويبذل في سبيل بلوغه الغالي والنفيس.

والمسلم الذي يحفظ كتاب الله في

صدره ينال كثيراً من المنافع الأخروية والدنيوية الجمة التي تجعله ذا شأن عند الله أولاً وعند الناس ثانياً، فهو ينال بذلك ثواب الآخرة، كما ينال من منافع الدنيا، ما يتمثل في فهم أحكام الإسلام واتباع سبيل الرشاد، بالإضافة لإتقان تلاوة القرآن ومعرفة بلاغته وإعجازه مما يورث المسلم فصاحة لسان وسحر بيان إن خطب أو كتب أو حاضر أو حاور أو بحث أو تحدث، وفي صدر الإسلام الأول كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوج المسلم أحياناً بمهر لا يتعدى حفظه لسورة البقرة أو غيرها مما تيسر من القرآن الكريم.

ومثل هذه القيمة العظيمة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، لا تخول المسلم وحدها أن يتولى شئون المسلمين أو أن يكون على رأس العمل الإسلامي في أي مستوى من مستوياته بل لا بد من مراعاة جوانب أخرى وسمات عديدة ذات أهمية بالغة وشأن عظيم يجعل المسلم جديراً بأن يوكل له من أمور المسلمين ما يستطيع تدبيره، ومن شئون الأمة ما يقدر على إدارتها، الأمر الذي يجعله مبدعاً قادراً في جانب، عاجزاً غير مثمر ولا نافع في جانب آخر.

ولدينا الدليل القاطع على ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ولى خالد بن الوليد رضي الله عنه قيادة المجاهدين وجعله أكثر من مرة على رأس جيوش الدعوة وقد فعل صحابته من بعده مثل ذلك، على قلة ما يحفظ خالد رضي الله عنه من سور القرآن الكريم وآياته عن ظهر قلب. ومع ذلك كان سيف الله المسلول، وكان المجاهد الفذ والعسكري النابغة والقائد الذي لم يهزم قط.

ومايقال عن حفظ القرآن الكريم يقال عن ورع الرجال وتقواهم وزهدهم في الدنيا، وفي السيرة النبوية المطهرة برهان ناصع، ودليل قاطع على ما نقول يتمثل في الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي كان علماً من أعلام الزهد والورع والتقوى والبعد عن الذات «والأنا» ومع ذلك لم يولِّه الرسول صلى الله عليه وسلم الإمارة ولم يوكل له أمراً من أمور القيادة والحكم لأنه كان يضيف الى معرفته بتقوى الصحابي الجليل وورعه معرفة أخرى بشخصيته قوة وضعفا وبمدى قدرته على تولي أمر القيادة وإدارة شئون الحكم.

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلي الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

* التقوى مقياس حضاري للمسيرة الحياتية مفهومها شامل وتبعتها ثقيلة: *

يحصر بعض المسلمين مفهوم التقوى في إطار ضيق ونطاق محدد لايخرج عن تجنب المعاصي البينة والحرام الواضح كترك الصلاة وشرب الخمر وارتكاب الفاحشة، وهي أمور يعتبر تجنبها بدهية من بدهيات مفهوم التقوى ومسلمات أولية من مسلمات الانتماء لهذا الدين العظيم.

غير أن أموراً يتجاهلها بعض المسلمين أو يغفلون عنها وهي أسس في بناء التقوى في النفس ومظاهر هامة من مظاهرها، بالإضافة إلى أنها قواعد اجتماعية هامة لو اتبعت في ظل طاعة الله لأسهمت في بناء النفس الإنسانية السّوية والمجتمع الإسلامي النظيف.

إن إتقان عمل المسلم من التقوى، والغش فيه وإهماله يثير شكا في مدى ما يتمتع به المسلم من تقوى بل ينفي عنه اتصافه بها ولوصلى وصام وأظهر الصلاح وبان عليه الورع.

والمحافظة على الوعد ثمرة من ثمرات التقوى، ومن لا يحافظ على وعده يدخل ضمن ثلاثة وصفوا والعياذ بالله بالنفاق فلنحذر، أما المحافظة على الوقت واحترامه فأمر لايقل أهمية عما أشرنا إليه، ليعرف المسلم متى يصلي ومتى ينام ومتى يعمل ومتى يأكل ومتى يستريح ليعطي كل أمر ما يستحقه من العناية.

والإخلاص في السر والعلن خلاصة المفهوم السليم للتقوى، والذوق مظهر جميل وثوب حسن من ثياب التقوى والرفق في المعاملة، وحسن الحديث، والوجه الطلق والابتسامة الصافية، وحرص المرء على النظام، وخدمة الآخرين، والإنصاف مع الخصم والمخالف في الرأي، والتناصح بين الإخوة، كل ذلك وأمثاله من الأسس والقواعد التي يقوم عليها المجتمع المسلم الصالح، وذلك هو المقياس الصحيح من مقاييس التقوى.

إن الصلاة عمود الدين، ولكن روح الصلاة الخشوع، وأن تكون آمرة بالمعروف ناهية لصاحبها عن الفحشاء والمنكر، والمعروف أفق واسع لا يعمل فيه إلا العاملون المخلصون الذين تفيض قلوبهم إيمانا ومودة ووجوههم بشراً وألسنتهم أطيب الحديث.

* الورع والدهاء كلاهما لازم للمسيرة والالتزام بأحدهما يحدث الخلل ويقود إلى البوار: *

ينبع ورع المسلم من صفاء عقيدته وعمق تقواه، وللورع دور كبير في توجيه مسيرة المسلم نحو طاعة الله

والأخذ بما أحلّ والتمتع بالطيبات في كل مجالات حياته وانطلاقة مسيرته طعاماً وشراباً، ودواء وثياباً وتعاملاً مع الناس في شتى مجالات المعرفة والسياسة والمال والجهاد والتعليم والتعلم والترويح الهادف البريء مثلما للورع دور كبير كذلك في البعد بالمسلم عن مواطن الحرام والشبهات وتجنب المعاصي حيثما واجهته أولقيها في طريقه الممتد ورحلته الطويلة على هذه الأرض.

ويدل دهاء المرء على توقد في ذكائه وسرعة في بديهته، ويعينه على التخلص من المآزق والبعد عن الوقوع في المزالق والمطبات كما يعينه على حسن التأني وسلامة الأداء واللطف في التعبير عن مكنونات نفسه وصائب فكره وآرائه.

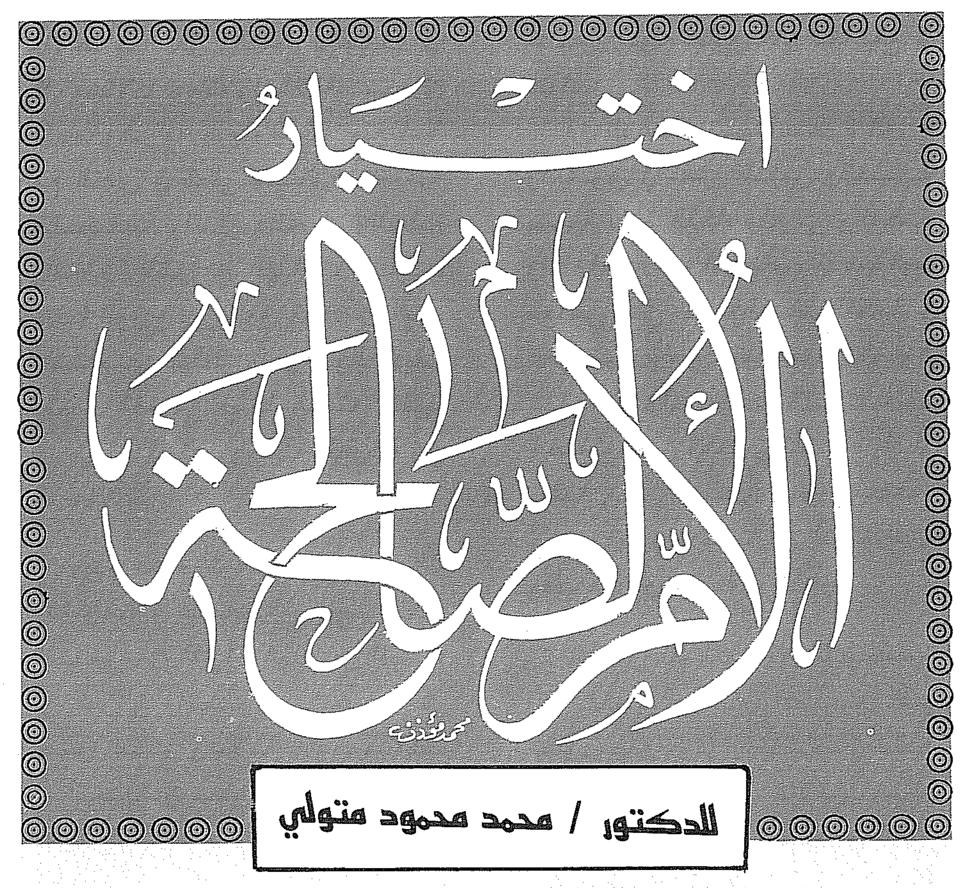
ومثلما يكون الورع من لوازم صفات المسلم السوي ليحول بينه وبين الوقوع في الحرام فإن الدهاء كذلك من لوازم صفات المسلم السوي ليحول بينه وبين الوقوع في الانحراف والزلل ويعينه على التخلص من مؤامرة المتآمرين وحبائل الماكرين.

فالمسلم الورع صادق في حديثه مخلص في عمله أمين في تعامله وفيٌّ بوعده حافظ لعهده، والمسلم الداهية الذكي حذر مما يدبر له، مفتح القلب والعينين، ذو بصر وبصيرة معاً ومصغ لما يدور حوله متابع لكثير مما يقع في دنياه.

إن الدعوة لتنمية بذرة الورع والتقوى في نفس المؤمن والعناية بتنمية بذرة الذكاء والوعي والفطنة والدهاء كلاهما أمر هام والدعوة لهما معا هي التي تصنع المسلم المتكامل في عمق تقواه وعمق وعيه معاً، والاصرار على الالتزام بواحدة من هاتين الصفتين دون الأخرى كالدعوة إلى أن يفقأ إنسان احدى عينيه ويحتفظ بالأخرى ليرى جانباً من الموقع الذي يقف فيه دون الجانب الآخر.

لقد كان المسلمون الأوائل يجمعون أو يتمتعون بهاتين الصفتين على تفاوت بينهم وعلى اختلاف في مقدار كل منهما لدى الناس. فقد نجد مسلما تقياً ورعاً على قدر كبير من الورع والتقوى ولكن لديه من الوعي ما يمكنه من معرفة ما يدور حوله، وقد نجد آخر على قدر كبير من الدهاء والوعي ولكنه كذلك على قدر من التقوى يقربه من الله ويقوده إلى مرضاته.

أما أن يكون المسلم تقياً عميق التقوى ولا وعي عنده، أو أن يكون داهية واعياً ولا تقوى لديه فذلك أمر مستهجن وغير مقبول بحال في عقيدة التوحيد والفكر الإسلامي الرشيد لأن التقوى بلا وعي غفلة والوعي بلا تقوى ضياع والمسيرة مستمرة.



البيت المتوافق هو البيئة الصالحة للطفل المتوازن عقليا وسلوكيا ونفسيا ودينيا، والأب والأم المتفاهمان ينشئان أطفالا يحوطهم الحنان والرعاية ولذا عدت الزوجة التي تحقق الغاية المرجوة من الزوجية آية من آيات الله يمتن بها على عباده، وآيات الله الكونية المنبثة في كونه لايقدر عليها سواه،وكذا آياته الإنسانية، ومنها تأليف قلب مع قلب، ونفس مع نفس، وعقل مع عقل، يقول تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/ ٢١ .

ولا يقدر على نقل تراث الأمة من جيل إلى جيل إلا الأسرة، ولكن أية أسرة؟ إنها الأسرة التي قطباها رجل وامرأة صالحان، يعرفان الحكمة من اجتماعهما ويدركان وظيفتهما في الحياة ولذا كان من رعاية الإسلام

للصغار حرصه على مجيئهم للحياة من أصول طيبة، بها يفخرون، ولايعيرون، وفي مجال الحيوان والنبات تجرى العادة في تحسين النسل صحيا وإنتاجيا على انتقاء السلالات وتحسين البذور عاماً بعد عام، واشتقاق بعضها من بعض، أفيكون مجال الإنسان أقل من مجالي الحيوان والنبات؟

إن الأرحام الصالحة كالأرض الطيبة إذا طابت طاب زرعها وأينع أحلى الثمار، ومن أجل ذلك لم يترك الإسلام اختيار الزوجة للهوى العارم أو الرغبة الجامحة، فسيطرة الهوى والرغبة تجنح بصاحبها عن نبل الغاية، وشرف المقصد، من وراء بناء البيت، وكما قيل: ماسمى الهوى هوى، إلا لأنه يهوى بصاحبه، كما أن الحب المجرد من الدافع الديني أو العقلي يعمي ويصم، أي يعمي العيون عن المعايب ويصم الآذان عن سماع صوت الناصح، وكم من فتيات خلب لبهن مظهر شاب بلا دين أو خدعهن بريق ثروة لا يدرين من أين أتى بها صاحبها، فاندفعن إلى المظهر أو الثروة، ثم سرعان ما ظهرت الحقيقة، وانكشف قناع الزيف، ولكن بعد فوات الأوان، ولذا حذر الإسلام من الاغترار بزخرف القول والعمل وأبان أنه رب خلي من المظهر حري بأن تستجاب دعوته، ورب واجد للمظهر حري بأن يكون لا قيمة له يقول صلى الله عليه وسلم: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » رواه مسلم.

ويقول : «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ....» رواه البخاري.

ويدعو علماء التربية الإسلامية إلى أن تبدأ التربية من اختيار الزوجة فإن «من أولى أساسيات التربية الإسلامية الحقة اختيار الزوجة الصالحة، التي تمثل المحضن الدافئ للطفل، ومنها يتلقى الخلق والدين لأنه يقتدى بها ويلازمها سني حياته الأولى».

كما يدعو علماء الاجتماع إلى أن «تكون العلاقة داخل الأسرة علاقة مشاركة وتكامل فهذا أدعى لشيوع جو الحب والوئام، فإن العلاقة في الأسرة علاقة مشاركة واندماج، وحنان ومجاملة يتفانى فيها كل من الرجل والمرأة في إسعاد الآخر، ويتفانيان معاً في إسعاد أبنائهما» .

ولم يترك رب العزة مواصفات المرأة التي توجب أن تكون أما صالحة للهوى،وإنما حددها في القرآن الكريم ففي سورة النور: **(وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)** النور/ ٣٢ والآية تومىء إلى الرغبة في الصالحين ولو كانوا

فقراء والتجافي عن الفاسدين ولو كانوا أثرياء، وفضل الله أولى بنواله أهل الفضل والتقوى فإن منع عنهم فليختبرهم الله سبحانه وتعالى وهم أولى بالنجاح من أهل القنوط والتعجل والفساد.

وفي سورة البقرة: **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم)** البقرة/ ٢٢١ .

فعلى الرغم مما بين الحرية والرق من فروق تمنح الحرة أهلية التملك والتكسب وملكها لنفسها.. الخ وتُحرم الأمَة من كثير من مزايا الحرة وحقوقها ومنها أن ولدها يتبعها في الرق والحرية فإن الأَمَة المسلمة خير من الحرة المشركة ومعنى الآية أن «الأمة المؤمنة على مابها من خساسة الرق وقلة الخطر خير من مشركة حرة، على مابها من شرف الحرية ونباهة القدر، ولو أعجبتكم بجمالها ومالها، وسائر ما يوجب الرغبة فيها، إذ بالإيمان يكون كمال دينها وبالمال يكون كمال دنياها. ورعاية الدين أولى من رعاية الدنيا، إن لم يستطع الجمع بينهما، إلا أنه ربما حصلت المحبة والتآلف عند اتحادهما دينا، فتكمل المنافع الدنيوية من حسن العشرة، وحفظ الغيب، وضبط الأموال والقدرة على تنشئة الأولاد تنشئة قويمة، وتهذيب أخلاقهم، حتى يكونوا قدوة لسواهم ».

ومن تتبع آيات القرآن الكريم نجد صفات المرأة المثالية

وبعض هذه الصفات متكرر في الآيات وبعضها ذكر بلفظ آخر كالقنوت والخشوع والإنفاق والتصدق وهذه الصفات يشترك معهن فيها الرجال وهي توضيح للمراد من الصالحين من العباد، والاماء الواردة في قوله تعالى: «**الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**» آل عمران/ ١٧ .

وقوله تعالى : «**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**» الأحزاب/ ٣٥وقوله تعالى: «**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا**» التحريم/ ٥.

وفي هذا الإطار القرآني يختار الرجل شريكة حياته وأم أبنائه وبناته وكما قيل:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه
وتنبت إلا في منابتها النخل

فإذا ما انتقلنا إلى السنة المشرفة وهي المصدر الثاني بعد القرآن للتشريع الإسلامي وجدناها:

أ - تقدم الدين في المرأة على ما سواه.
ب - تجعل المرأة الصالحة خير متاع الدنيا.
جـ - تحدد بعض صفاتها النفسية.
د - تجعلها ربع السعادة الزوجية
هـ - ثلث شقاء الدنيا من المرأة السيئة.
و - الرجل بابها الى الجنة أو النار.
ز - لو جاز السجود لأحد غير الله لجاز للزوج.
ح - ممنوع منعا باتا إذنها في بيت الزوج بدون إذنه، أو عزل فراشه أو ضربه، أو سؤاله الطلاق لغير سبب.

فإذا تساءلنا ولم كل هذا الكم الغفير من الصفات في الزوجة فاننا نجد الجواب في أنها أساس تربية النشء وهي كما قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وخير للمرء منذ البداية أن يختار الصالحة من أن يختار سيئة تميته كمدا فإن الطبع صعب تحوله خاصة في الكبر إلا لمن أراد الله لهن الهداية وفي ذلك يقول الامام ابن حزم:

«واعلم أن رياضة النفس أصعب من رياضة الأسد، لأن الأُسْد إذا سجنت في البيوت التي يتخذها لها الملوك - أو المروضون أو حدائق الحيوان - أمن شرها، والنفس - ان سجنت - لم يؤمن شرها» .

وسأسوق جملة من الأحاديث تحدد بعض الصفات التي أشرت إليها سلفا ومنها: -

«١» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه مسلم.

«٢» وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

«٣» وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم، المرأة الصالحة والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء» رواه أحمد باسناد صحيح.

«٤» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولاتخالفه في نفسها وماله بما يكره» رواه النسائي. بإسناد حسن

وفي هذه الأحاديث تتبدى ثمار الإيمان التي حض الإسلام على ابتغائها في أم الأبناء، فهي مطيعة عند الأمر وفي هذا ما فيه من آثار حسنة على تربية الأولاد، وهي نظيفة بشوش حاذقة لنظام البيت تجلب السرور للزوج، ولا يخفى أن الزوج المسرور بسلوك زوجته في بيته يكون صدره فسيحا لأولاده يرعاهم ويراقبهم ويسأل عنهم، ثم هي ليست محنثة زوجها في قسم أقسمه وهذا يجعل الأولاد يوقرون الأيمان فلا يخفرونها أو ينقضونها أو يستصغرون الحنث فيها ونشأة الطفل على هذا الخلق مما لا يخفى دخلها الكبير في التزامه الخلقي والديني.

ثم هي ناصحة للزوج في نفسها وماله، مما ينشىء الأولاد على احترام العرض والحفاظ على المال دون رقيب من والد أو شرطي، وهذا هو المبتغى من المؤمن الصالح الذي يحرسه ضميره وتحجزه عن الولوغ في الحرام مراقبته لربه، ولهذه الآثار الكريمة لاختيار المرأة الكريمة رغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: في التخير للنطف وقد ورد في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الاكفاء، وانكحوا إليهم» رواه ابن ماجة.

التحذير من نكاح نساء لصفات معينة

التحام أئمة المسلمين بالمجتمعات التي عاشوا فيها أكسبهم معرفة بالحسن والسيىء من صفات الناس وكان ضمن معارفهم الصفات التي تُتجنب المرأة من أجلها، ومن أصحاب النظرات الثاقبة في هذه المسألة الإمام الغزالي وقد ذكرت بعض الصفات التي يرغب في المرأة لأجلها وهنا أذكر بعض الصفات التي تكره المرأة بسببها وهي على الجملة:

بذاءة اللسان، وإدامة النظر لما في يد غيرها ممن هن أكثر ثراء منها وكونها ذات تجربة سابقة في زواج، أو شديدة الاهتمام بزينتها، أو متعالية على زوجها معايرة له بما تسديه إليه أو يسديه إليه أهلها وفي ذلك يقول الامام الغزالي «الثانية: حسن الخلق - أي مما يرغب في المرأة لأجله - وذلك أصل مهم في طلب الفُرَاغة، والاستعانة على الدين، فإنها إذا كانت سليطة بذية

اللسان، سيئة الخلق كافرة للنعم، كان الضرر منها أكثر من النفع، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء.

وقد قال بعض العرب:

لا تنكحوا من النساء **ستة**، الأنانة والحنانة والمنانة والحداقة والبراقة والشداقة فأما الأنانة: فهي التي تكثر الأنين والتشكي، وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح المراضة أو المتمارضة لاخير فيه.

والمنانة: التي تمن على زوجها فتقول: فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحداقة: التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها، فتشتهيه، وتكلف زوجها شراءه. والحنانة، التي تحن إلى زوج سابق، أو إلى ولدها منه وهذا مما يحسن تجنبه.

والبراقة: تحتمل معنيين، أن تمضي نهارها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون له بريق بالصنع أو أن تغضب على الطعام.

والشداقة: المتشدقة بالكلام الكثيرته، ولايخفى بغض من تتصف من النساء بهذه الصفات على أحد.

وروى عن السائح الأزدي أن ناصحا نصحه، فقال له: لا تنكح **أربعا**: المختلعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز.

فالمختلعة: هي التي تطلب الخلع وهو فسخ الزواج على مال تدفعه أو مهر ترده للزوج دائما من غير سبب.

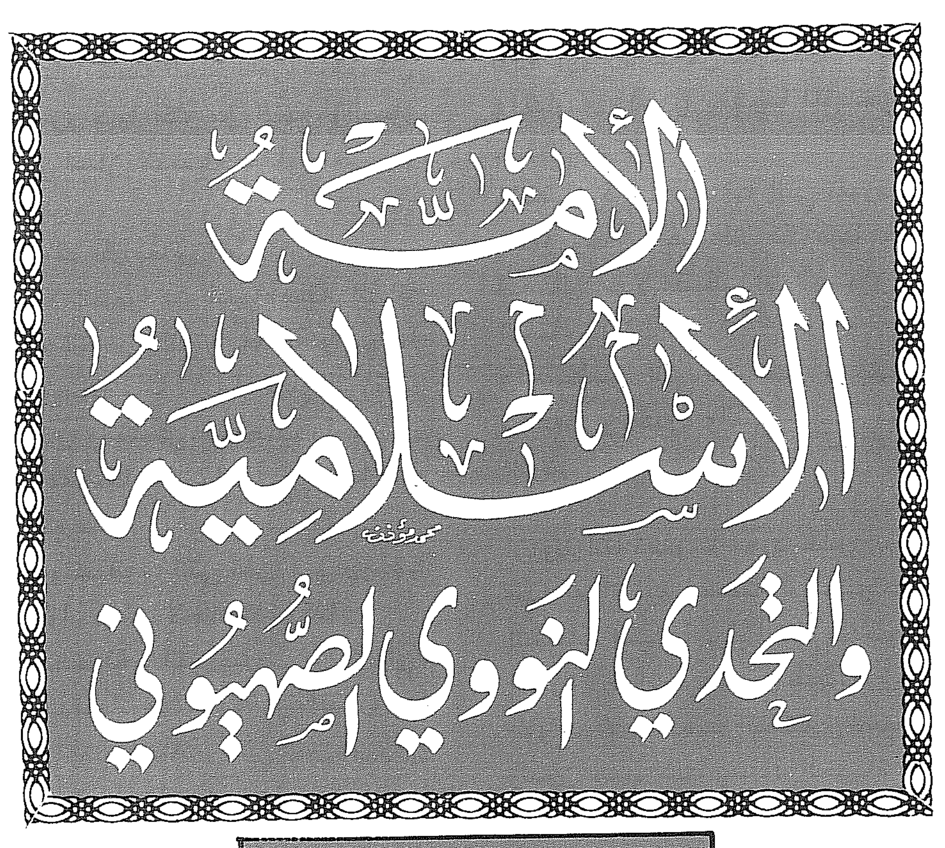
والمبارية: المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا.

والعاهرة: الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن، وهي التي قال فيها الله تعالى: «**ولا متخذات أخدان**» النساء/ ٢٥.

والناشز: التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال، والنشز العالي من الأرض.

ولو أننا تصورنا مجرد تصور بيتا فيه امرأة فيها صفة أو أكثر من الصفات السابقة لرأينا بيئة شديدة السوء لأطفال يعيشون في ظلها، فرؤية الأولاد الأم دائمة الشكوى لسبب ولدون سبب مما يسود الحياة في جوهم ولربما نقل طبعها إلى طباعهم، وسماعهم أمهم تمن على أبيهم أو تطلب منه أن يطلقها، أو تدخل بيتهم رجالا في غيبة أبيهم... الخ. كلها أمور تنقل العوج إلى طباعهم وأخلاقهم لذلك صان الإسلام البيوت أن تكون محاضنها سيئة حتى لا تنتقل عدوى السوء إلى النسل.





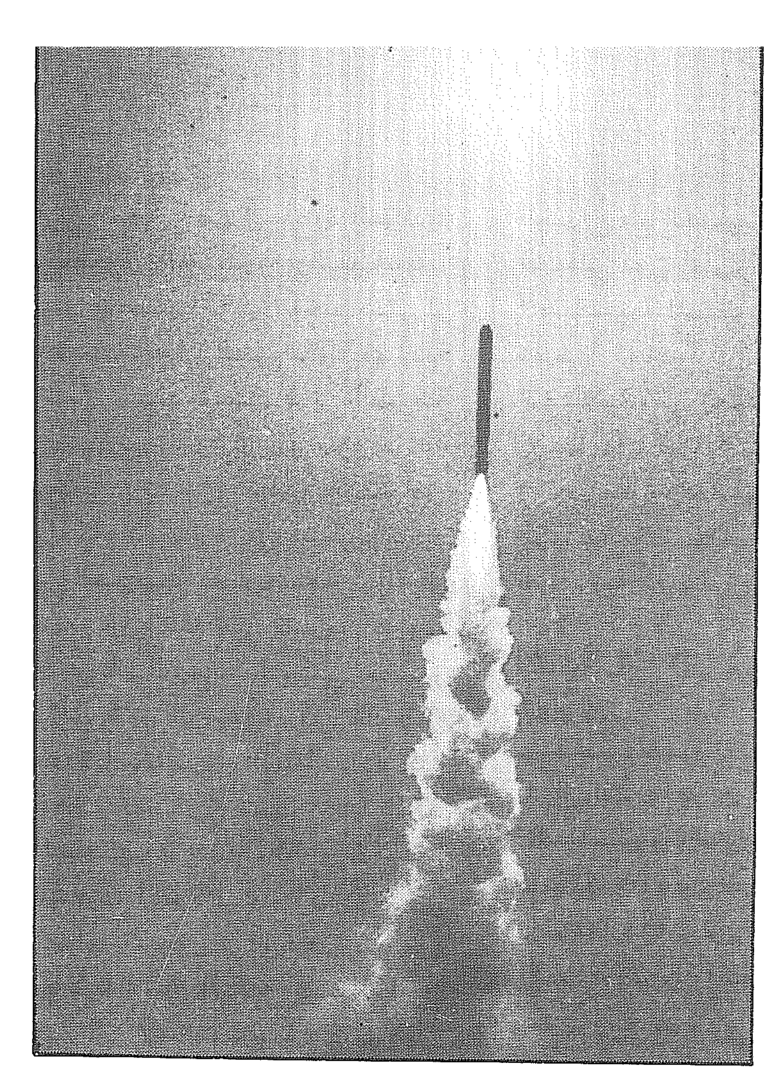
للأستاذ : محمد بن علي بن جبرة

البعد الحضاري للقضية :

يلح بعض المؤرخين مثل «توينبي» في تفسير أحداث التاريخ على فكرة التحدي.. فالحضارات الكبرى إنما ولدت استجابة لتحديات طرحت على الشعوب، سواء كان هذا التحدي اجتماعيا أو عسكريا أو اقتصاديا... إن الشعوب التي عاشت وتحضرت هي التي كانت استجاباتها ناجحة على التحديات المطروحة، على حين فنيت شعوب أخرى لأنها فشلت في الاستجابة.

ولقد خلت في أمة الاسلام حضارات كثيرة بلغ بعضها من القوة شأوا عظيما ولكنها عندما امتحنت تهاوت وما قويت على الصمود... لقد ابتلى العباسيون بالتتار فتهاووا، وابتلى الفاطميون بالصليبيين فخاروا، وابتلينا نحن باليهود فماذا صنعنا ؟

ولكي نجيب على هذا السؤال، لابد أن ندرك الحقيقة التالية، وهي ان



صاروخ نووي
تتحكم بمساره
الاجهزة
الالكترونية

الصراع بين المسلمين واليهود ليس ظاهرة حديثة فهي من أقدم الظواهر التي صاحبت تاريخ هذه الأمة منذ نشأتها وانطلاقتها.. من يومها بدأ التآمر الصليبي اليهودي على هذه الأمة في محاولات متكررة لطمس إشعاعها الحضاري الإنساني، أن ينطلق مكتسحا ما يرزح تحته العالم من مظالم وظلمات. وهو صراع لئن كانت مظاهره متعددة فإن جوهره قيمي حضاري بين نموذجين للإنسان وللعلاقات الانسانية، النموذج الغربي الذي يقوم على السيطرة العنصرية والمادية والقوة، والنموذج الاسلامي الذي يقوم على التوحيد واعتبار الناس كلهم عائلة واحدة لا تتفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح. فالصراع بيننا وبين اليهود ليس كما يحصره البعض سياسيا أو اقتصاديا أو مسألة أرض... إنه الصراع الحضاري العقائدي، لمن يدرك الطبيعة الصهيونية التي تنطلق

استراتيجيتها من السيطرة العقائدية والثقافية والعسكرية والسياسية.. على المنطقة كلها، بحيث حتى لو اعترف العرب اليوم بدولة يهودية ضمن حدود معينة، فإن الطبيعة الصهيونية لن تعتبر ذلك سوى مرحلة وبداية لمزيد من التأهب للانقضاض وإحكام السيطرة على مناطق أخرى. إن الخريطة الرسمية لدولة آل صهيون، تلك التي تتربى عليها الاجيال اليهودية والتي تتصدر مؤسساتهم الرسمية، هي تلك التي حددتها مصادرهم الدينية... وقد كان العنف العسكري شرط اجتياح بلاد المسلمين في فلسطين وإخضاع الشعوب الاسلامية والسيطرة على مقاليد الأمور في ديارها سيطرة مباشرة أثناء الحقبة الاستعمارية. غير أن الاستعماريين أدركوا أن أشكال سيطرتهم لابد أن تتغير من مباشرة إلى غير مباشرة بعد حين، وكانوا يتحسبون من نهضة الأمة الاسلامية في يوم من الأيام فتحطم قيود القهر والبغي، ولهذا أقاموا هذا الكيان الغريب المعادي لأمة الاسلام دينيا وحضاريا ودججوه بالسلاح المتطور (النووي - الكيميائي..) ونفخوا فيه روح الارهاب من أجل أن يكون هراوة مرفوعة على رأسها في كل حين، خصوصا بعد رحيل الاستعمار المباشر. وفي الحقيقة، لن يفهم جوهر الصراع مع الصهيونية والاستعمار العالمي دون إبراز خصائصهما العسكرية المتطورة التي تشكل مصدرا أساسيا من مصادر الأزمة الخانقة التي تعاني منها الدول الاسلامية فالهوة في ميزان القوى تقع في جذر ما نواجه من أزمة التحرر الكاملة والانطلاقة الاسلامية الحضارية العالمية.

الانتشار النووي والأمن العالمي:

إن أكثر ما يؤرق العالم اليوم، هو ذلك المخزون النووي، الهائل الذي تمتلكه بعض الدول المصنعة واستمرارها في تطوير هذا المخزون من الاسلحة النووية المدمرة.

إن عصرنا الراهن هو الأول من نوعه الذي استطاع تطويع الذرة كقوة حرارية واشعاعية، واستخدامها كسلاح هو بلا شك من اخطر وأشرس الاسلحة التي عرفتها البشرية، ولايمكن لخيال الإنسان أن يستوعب حجم الدمار الذي سيلحق بالعالم لو تم فعلا استخدام تلك الاسلحة عسكريا. لقد أصبح العالم في مأزق خطير من جراء استمرار سباق التسلح النووي، وأصبحت الدول النووية العظمى في مقدمة ضحاياه، فكلما تم تطوير أسلحة نووية جديدة،

وكلما تضاعف عددها وحجمها ازداد أيضا إحساس هذه الدول بالخطر النووي وبعدم الأمان. «ففي الفترة من ١٩٦٠ الى سنة ١٩٨٥ أنفق العالم ما مجموعه ١٤ ألف ألف مليون دولار على الشؤون العسكرية، كما بلغ إجمالي الانفاق العسكري في العالم سنة ١٩٨٦ وحدها (٩٠٠) ألف مليون دولار أي بمعدل مليوني دولار في كل دقيقة من دقائق اليوم الواحد وعلى مدار ٣٦٥ يوما من أيام السنة. وكانت الحصيلة النهائية والملموسة لمثل هذا الانفاق هي امتلاك العالم مخزونا من الأسلحة ومن القدرات التدميرية تقدر بحوالي (١٦) ألف طن من مادة ت ـ ن ـ ت، أي ما معدله خمسة آلاف ضعف جميع القدرات التدميرية التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، والتي راح ضحيتها ٤٥ مليون نسمة من سكان العالم» وبالرغم من هذه التكاليف الباهظة وبالرغم من تحذيرات العلماء والمفكرين، وضغوط الرأي العام العالمي، يظل سباق التسلح النووي قائما ومستمرا ومتصاعدا دون أمل في إيقافه أو لجمه بالرغم من تعدد اتفاقيات الحد من سباق التسلح النووي مثل سالت ١و٢ بين أمريكا والاتحاد السوفياتي .

غير أن هناك العديد من المفكرين يقولون إن السلاح النووي قديؤدي الى الاستقرار العالمي، عن طريق الخوف، فهو يعمل كاللقاح المهدىء للعوامل التي تساعد على تصعيد درجات الصراع، غير ان الوصول الى السلام عن طريق الخوف فكرة مضللة، وأن سياسة استخدام القسر والرعب لفرض الاستقرار لايمكن أن تستمر، كما يسجل التاريخ أنه ما من سلاح دخل مرحلة الانتاج إلا واستخدم فعلا.

وإذا امتلكت العديد من الدول بالتتابع أسلحة نووية فإنه من الصعب أن يستقر النظام العالمي حيث ستصبح العلاقات الدولية غير مستقرة، وتصبح ضوابط الأمن الحالية غير صالحة. وكلما زاد عدد الدول النارية زاد احتمال حدوث تصادمات نووية، ويصبح احتمال تصعيد الحروب العادية الى حروب نووية أكثر احتمالا، خاصة من جانب الدول التي تخشى على وجودها، مثل الكيان الصهيوني وجنوب إفريقيا، والتي قد تستخدم هذه الأسلحة في حالة اليأس.

اما بالنسبة للأقطار العربية والاسلامية، وإن كانت مطالبة بإنتاج السلاح النووي ردعا لأعدائها، فإن ذلك يعطل عملية التقدم الذي لايمكن أن يتحقق في ظل هذا الصراع المرير نحو التسلح النووي، علماً بأن نفقات بناء غواصة نووية واحدة (٢,٣ بليون

دولار) تكفي لتغذية ٥٠ مليـون طفل يعانون من المجاعة، وتعادل الميزانية التعليمية السنوية في ٢٥ دولة من دول العالم الثالث التي تخصص للانفـاق عـلى ١٦٥ مليـون تلميـذ (التقـريـر السنـوي للمعـهـد الدولي لأبحـاث السلام سنة ١٩٨٨م) .

الخداع الصهيوني في مجال السلاح النووي :

من أسـاليب اليـهـود في المكـر والخديعة أنهم يريدون أن يظللوا كل شيء بالشك الكثيف حتى لا يتقيـدوا بأي معيار أخلاقي، أين هي إسرائيل؟ ومـا هي حـدودهـا؟ الجغـرافيـة أم الأمنيـة؟ فعند قيـام الدولة رأى ابن غوريون أن تكون إسرائيل بلا حدود دولية ثابتة بلا جنسية محددة وبـلا أهداف واضحة معلنة.

وبخصـوص السـلاح النـووي الخطير تتعدد الشواهد التي تؤيد أنها دولة نووية بالرغم من التكتم الاعلامي حول هذا الموضوع.

إن طبيعة العقيدة اليهودية المتمثلة في الحصول على أرض الميعاد، تقتضي إنتـاج سلاح متـطور تتفوق بـه على أصحاب الأرض الشرعيين. أما لماذا تتعمـد إسـرائيـل الغمـوض حـول موضوع امتلاكها للاسلحة النووية؟

* طبيعـة اليهود في المكـر والخـداع والتخفي،

* تفويت أحقية العرب والمسلمين في امتـلاك السلاح النـووي، لاحتمـال تزويد قوة نووية العرب بـالقنبلة ردا على اعلان اسرائيل امتلاكها،وفي هذا المجال نجد أن محاولات العراق تواجه بأعنف إجراء تم في العالم حتى الآن، إذ قامت إسرائيل في ٧ حزيران ١٩٨١ بهجومها الجوي لتدمير المركز النووي العراقي بالقرب من بغداد، ويزيد من خـطورة هـذا الاجـراء أن الحـدود الدولية، المسافات الطويلة، والقوانين الدوليـة لم تعـد حـائـلا دون قيـام إسـرائيل بـالحفاظ عـلى مـركـزهـا الاقليمي الممتاز.

* زيادة تدعيم ترسانتها من الأسلحة التقليدية، بدعوى عـدم لجوئهـا الى الخيار النووي ومحبتها للسلام.

* تحطيم معنويات الجيوش والشعوب العربية والاسلامية، بواسطة الشـك القاتل الذي يعيشه العرب من هـذه السياسة الغامضة والترسانة النووية الخفية والذي قد يدفعهم إلى اليأس والاستسلام.

* بالرغم أن إسرائيـل لاتعترف بالقانون الدولي، فهي تسعى للهروب من تـدخـل بعض الهيئـات الدوليـة لفـرض نـظام التـفـتـيش ووضـع

الضوابط على أوجه نشاطها في هذا المجال.

* إعفاء الدول المساندة والمدعمة لها من الإحراج، فسياسة التكتم تخلو من الإثارة وتعفي كثيرا من الدول التي تعرف حقيقة ما يجري من الحرج.

أهداف العدو الصهيوني من إنتاج السلاح النووي:

أما عن أهداف العدو الصهيوني من إنتاج السلاح النووي، فلعل أهمها تحقيق أبعاد العقيدة اليهودية الاستيطانية المتمثلة في:

١ ـ الحصول على ما يسمى بأرض الميعاد من النيل إلى الفرات.

٢ ـ إعادة الشعب اليهودي وتوطينه في أرضه التاريخية.

ولتحقيق ذلك لابد من القوة الساحقة يقول ابن غوريون: «المشكلة الفلسطينية لايمكن أن تحل إلا بالحرب، والحرب هذه ستقرر مصير إسرائيل فإما زوالها وإما بقاؤها، ولكي ننتصر في الحرب يجب أن نتفوق على العرب تفوقاً عسكريا ساحقا» (الكتاب السنوي للعدو الصهيوني ١٩٥٠م) لقد كانت القوة ولاتزال وستبقى لها أعظم الأثر في المكانة السياسية لأية دولة في العالم، فمما لا شك فيه أن الدولة النووية تكون دائما في الموقف الأقوى في مواجهة الدول غير النووية التي ستجد نفسها في حالة هوان في علاقاتها الدولية.

إن الدفاع عن الكيان الصهيوني المغروس وسط محيط عربي اسلامي متفوق عدديا تفوقاً ساحقا، ونيل الشرعية الدولية باعتراف العالم كله بهذا الكيان، ثم الانتقال الى مرحلة وراثة الحضارة العربية الاسلامية وهو مشروع العمق التاريخي للصهيونية، لن يتم بدون التفوق في مجال السلاح النووي.

لقد فقدت الصهيونية أملها في إجبار العرب على الاستسلام والاعتراف بكيانها بوسائل الحرب التقليدية فاتجه تفكير حكماء صهيون، إلى إنتاج السلاح النووي الذي قد يجبر العرب على الاستسلام.

الإسلام وتلبية شروط المواجهة:

الصهيونية ـ كما نلمس ونشاهد ـ تعتقد أن القوة هي الحل الوحيد لكل مشاكلها. وقد تصاعد صلفها بمرور الزمن حيث أقدمت سنة ١٩٦٩ على حرق المسجد الأقصى المبارك، وأعلنت سنة (١٩٨٠) أن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني. كما تمادت السلطات الصهيونية في إقامة المستعمرات في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وتهويدها، وقتل

وسجن أبناء الشعب الفلسطيني الذي يعيش الاضطهاد المقيم، كما امتد عدوانها إلى جانب جنوب لبنان. صحراء سينا والعراق وتونس... كل ذلك تم في غياب الردع العربي الاسلامي المطلوب، وليس الخطر هو ما تفعله إسرائيل - فالشيء من مأتاه لايستغرب - بل الأخطر هو عدم القدرة العربية الاسلامية على رد الفعل، وهنا لابد أن نسجل بكل اعتزاز العمل البطولي الاسلامي في جنوب لبنان والانتفاضة الفلسطينية داخل الوطن المحتل.

إن انتفاضة المسجد والحجارة دليل أن هذه الأمة لن تموت، وأن الجسم الذي حاولت إسرائيل طيلة نصف قرن إنهاء الحياة فيه مايزال ينبض بالحياة، وأنها دليل على أن الاسلام هو وحده القادر على تعبئة الطاقات لمواجهة التحدي.

العقيدة أولا :

من الحقائق الثابتة أن الصهيونية ارتكزت على العقيدة الدينية التوراتية المحرفة التي شدت يهود من شتى أنحاء العالم إلى أرض الميعاد وأنها تحاكم العالم وتحكم على الأشياء من خلال تلك الرؤية الدينية،وتسلك كل وسيلة لتأكيدها وتحقيقها، حتى إنها تعيد الآن خريطة فلسطين وتخلع على مناطقها المختلفة أسماء توراتية...

وإن هذه العقيدة ما لم تواجه بعقيدة ثابتة وإرادة حازمة، سيبقى العالم العربي يرسم في فراغ ويحرث في البحر.

إنها العقيدة المستمدة من الاسلام الذي يتضمن مكانا هائلا للارتفاع بجماهير الأمة الى مستوى التحدي، حتى في ظروف ما تواجهه من اختلال في نسب القوى بينها وبين أعدائها. فالاسلام حين يضع هدف الأعمال مرضاة الله يضع أمام المسلم هدفا أكبر من أي هدف مادي، إنه هدف أكبر من عنف الغرب وربيبته إسرائيل وأكبر من أية عبودية لقوة طاغية أو لحالة يأس أو لشهوة حكم أو ضعف أو إغراء...

إن الأمة إذا وضعت لنفسها أهدافاً مادية ستخضع لقانون المكاسب والمخاسر المادية ولميزان القوى، مما يدفعها في الغالب إلى المساومة على الحق حتى بالتنازل عنه، طالما أن قانون المادة الآن لايسمح بالقضاء على الكيان الصهيوني مهما بلغ التضامن العربي العسكري، فإسرائيل وحلفاؤها تملك السلاح النووي والعرب لا يملكونه.. ولهذا تجد الأمة نفسها خاضعة لجبروت الدول الكبرى. أما إذا وقفت الأمة على أرض الاسلام فمن المفترض ألا تساوم على عقيدتها ومبادئها

واهدافها الحضارية الربانية، حتى عندما تكون الظروف غير مناسبة، وموازين القوى الأرضية في غير مصلحتها، فالحق لايتغير حين تتغير موازين القوى في نظر الاسلام. وإن من يتخذ الله غاية أفعاله وأقواله لاتستطيع أي قوة قاهرة أن تجبره أو تغريه على التخلي عن هذه الغاية أو تدفعه الى المساومة عليها، إلا إذا كان هناك وهن في الايمان وزيغ في القلوب ونفاق في الأعمال.

أثبت الاسلام مرارا وتكرارا قدرته على التحريك والمواجهة، فإذا كانت مواجهة التحدي النووي الصهيوني تحتاج الى العقيدة الفاعلة وبذل الجهود الشاقة في العمل العلمي والانتاجي والتحرر من عقلية الاستهلاك والاتكالية وتوفير رؤوس الأموال، كل هذا يحتاج إلى تضحيات كبرى، وهذا مالا يستطيع إقناع الأمة به غير الاسلام، فالجماهير يمكن أن تقبل بشظف العيش والعقول المهاجرة يمكن أن تعود إلى أرضها إذا اعتقدت أن هذا العمل في سبيل الله، ولكنها لم تفعل ذلك مقابل ما وعدها به المتغربون والماديون حتى لما تمسحوا بأهداب التقدمية والاشتراكية..

الإخلاص والصواب معاً:

قلنا إن مواجهة التحدي النووي الصهيوني يتطلب التعبئة الايمانية والاسلام وحده القادر على توفير ذلك غير أن ذلك لايعني بحال من الأحوال أن نغفل ضرورة الحساب الدقيق وترتيب الأولويات ودراسة الواقع الراهن بكل أبعاده العسكرية والاقتصادية والسياسية وو...

ثم إن الاخلاص في مجابهة التحدي بالاسلام لايعني أن الأمر أصبح سهلا، لأن دون ذلك شروط الصواب لابد من توفرها؛ فالشقة بين الاسلام كمنهج حياة والمجتمع المعاصر بعدت كثيرا، بعد الضياع الذي حل بالأمة،

وبسبب الانقطاع الذي حدث مع تاريخها الحضاري بعد السيطرة الاستعمارية عليها، ثم تفوق الأعداء عسكريا واقتصاديا وتقنيا، بينما أهل الاسلام على فرقة، ترعرعت بينهم سلبيات حضارية نتيجة القهر الطويل وعمليات الخنق والحصار والافساد... لهذا يجب ألا تكون هنالك أية أوهام بحلول سهلة ونصر سريع حين يصار إلى الالتزام بالاسلام في مواجهة التحدي. وإنما يجب أن يقدر الأمر أحسن تقدير حتى تعالج كل خطوة بما تستحق من الفهم السليم والدقة في الاعداد وصواب الرأي والتنفيذ.

« **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**» (الحج/ ٤٠)

«صدق الله العظيم» .



للدكتورة/ شاهيناز بسيوني

مقدمة :

توضح الدراسات الحديثة في مجال الإعلام والاتصال بالجماهير أن الدول الإسلامية في مقدمة المناطق التي تستهدفها الإذاعات الأجنبية الموجهة الأمر الذي تستتبعه ضرورة تسليط الأضواء على أساليب تلك الإذاعات كواحدة من أهم وسائل الغزو الفكري الأجنبي لهذه الدول .

هذه الضرورة تأتي من **اعتبارين أساسيين** :ـ

الأول : من المهم توضيح حقيقة هذه الإذاعات كاملة للإنسان المسلم بحيث يتعامل معها على أساس من العلم والوعي ، خاصة وأن هذه الإذاعات تعمل وفق أساليب دعائية ملتوية وتخفي حقيقة أهدافها وغاياتها بحيث يكون من الصعب على الجمهور المسلم معرفة هذه الأساليب وما ترمي إليه من غايات وأهداف .

الثاني : إن تسليط الأضواء على أساليب الممارسة الخاصة بالإذاعات

الأجنبية من شأنه أن يفيد الإذاعات الإسلامية وغيرها من وسائل الإعلام بحيث تكون قادرة على المقاومة وتحقيق الأمن الإعلامي للإنسان المسلم ، ذلك أن معرفة أساليب الخصم من العناصر الأساسية للانتصار عليه لأن هذه المعرفة تمكن من مواجهته بالاستراتيجية الملائمة والتكتيك السليم .

* طبيعة الغزو الثقافي باختصار :

يأسى الناس حين يسمعون بغزو عسكري لبلد آمن ، مع أن هذا الغزو يستهدف بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، وقد يكون وراءه أغراض أخرى اقتصادية أو سياسية،بيد أنهم لا ينتبهون إذا تعرضوا ـ هم أنفسهم ـ للغزو الفكري ، مع أن هذا الغزو يستهدف أشرف ما في الإنسان : عقله وقلبه ، عقيدته وفكره ، وقد يكون عدم التنبه هذا راجعا الى ما يسلكه الغزو الفكري من سبل التدسيس والتدليس ، الأمر الذي قد لا تشعر به الشعوب حتى تفاجأ بنتائجه الأليمة .

ويرتبط الغزو الفكري **بثلاثة مصادر أساسية هي** : الشيوعية ، الصهيونية ، الفكر الغربي ومن هذه المصادر على امتداد فترات زمنية مختلفة وحتى الآن ظهر العديد من الدعوات الهدامة المعادية للإسلام ، وتندرج هذه الدعوات تحت **ثلاثة أقسام** رئيسية يمكن حصرها في الآتي :

أ ـ دعوات هدامة للعقائد والقيم
ب ـ دعوات هدامة للمجتمعات والأمم
جـ ـ دعوات هدامة للنفس والأخلاق

* لماذا يعتمد الغزو الفكري على الإذاعة :

إذا كان الغزو الفكري يعتمد على مختلف وسائل الاتصال فان الهدف من ذلك محاصرة الإنسان المسلم أينما كان ، غير أن الإذاعة تعد واحدة من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الغزو الفكري في الوصول إلى الجماهير المسلمة وهذا يرجع إلى ما تتميز به الإذاعة من خصائص يمكن تحديد أهمها في الآتي :

أولا : سرعة الإرسال الاذاعي واتساع نطاق التغطية الجغرافية له ، إذ ان الإرسال الاذاعي من الممكن أن يصل إلى أكبر عددممكن منالجماهير .

ثانيا : تعتبر الإذاعة ذات تكاليف اقتصادية منخفضة نسبيا إذا قورنت بغيرها من وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير مثل التلفزيون أو الصحافة .

ثالثا : انتشار أجهزة استقبال الراديو ، حيث يعد الراديو ـ في جميع أرجاء العالم ـ من أكثر وسائل الإعلام وجودا في كل وقت وفي كل مكان .

رابعا : قدرة الإذاعة على احتواء

المستمع وإثارة تخيله ، وكذلك الجو النفسي المرتبط بعملية التعرض للإذاعة حيث يتم خلال هذه العملية إقامة نوع من علاقة الألفة مع المستمع فعلى الرغم من أن الراديو يخاطب الملايين في وقت واحد إلا أن له المقدرة على الإيحاء للمستمع بأنه يخاطبه هو وحده .

خامسا : الخصائص الاقتصادية والثقافية التي تتسم بها معظم الدول الإسلامية من حيث انخفاض المستوى الاقتصادي وانتشار الأمية ، وقد أثبتت الدراسات والبحوث العلمية أن الإذاعة تكون ذات تأثير فعال في مثل هذه الظروف ، ومن هذه النقطة يتضح أن مخططات الغزو الفكري تستخدم الوسيلة الدعائية الأكثر ،ملاءمة لواقع الدول المستهدفة وأعني بها الدول الإسلامية ، وان كان هذا لا يمنع اعتماد هذه المخططات على وسائل اتصالية أخرى .

لكل هذه الأسباب وغيرها **نجد الآتي** :

١ ـ الارتفاع الواضح لعدد المحطات الإذاعية التي تقدم برامجها باللغات المنتشرة في العالم الإسلامي ، فعلى سبيل المثال يبلغ عدد المحطات التي تقدم برامجها باللغة العربية ٦٧ محطة ، وباللغة الأندونيسية ٢٣ محطة ، وباللغة التركية ٢١ محطة ، وباللغة السواحلية ١٨ محطة ، وباللغة الفارسية ١٦ محطة ، بالإضافة إلى ذلك نجد العديد من المحطات الإذاعية التي تقدم برامجها بلغات دولية مثل الإنجليزية والفرنسية وغير ذلك من اللغات التي يتحدث بها جمهور واسع من المسلمين في كل بقاع الأرض .

٢ ـ استخدام الإذاعة بشكل مكثف في إطار محاولات التنصير التي لا يمكن فصلها عن مخططات الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، إذ أن هناك عديدا من المحطات الإذاعية التي تعمل في إطارتلك المحالاوت ومن هذه المحطات. نذكر : إذاعة حول العالم Trans world Radio واذاعة صوت طنجة Voice of Tangier واذاعة ELWA (بالحب الأبدي نكسب إفريقيا) ، وإذاعة صوت الإنجيل ، وراديو الفاتيكان ... الخ . ومحاولات التنصير لا تقتصر على نشر المسيحية بين غير المسلمين ، وإنما تعمل على نشرها بين المسلمين أيضا ، وعلى سبيل المثال أعلن في أندونيسيا أن قرية كان كل سكانها من المسلمين في منطقة « بونو روجو » بشرق جاوة قد تحولت إلى الكاثوليكية بعد تنفيذ خطة لتنصير أهلها ، واستمرت هذه الخطة أربعة عشر عاما .

بعد هذه المقدمة السريعة نتناول القضية الأساسية وهي أساليب

الإذاعات الأجنبية في تعاملها مع الإنسان المسلم ، ونؤكد مرة أخرى على أن معرفة هذه الأساليب تعد في منتهى الأهمية سواء بالنسبة لعامة المسلمين أو للمسئولين عن الإعلام في الدول الإسلامية كما سبقت الإشارة .

أساليب الإذاعات الأجنبية في الغزو الفكري للإنسان المسلم :

من واقع الأبحاث والدراسات العلمية التي أجريت في مجال الإعلام الإذاعي الدولي تبين أن الدول الإسلامية تأتي في مقدمة المناطق المستهدفة من الإذاعات الأجنبية الموجهة وتعتمد هذه الإذاعات على مجموعة من الأساليب الدعائية نوجز أهمها في الآتي :

١ ـ الصدق من أجل الكذب :

فالإذاعات الموجهة إلى العالم الإسلامي كثيرا ما تتخذ من الصدق وسيلة إلى الكذب ، بمعنى أن تقدم حقائق صادقة وتربطها بموضوعات وتفسيرات كاذبة ، المثال على ذلك واضح وبسيط فقد حدث أن قامت طالبات الجامعة في احدى الدول الإسلامية بمظاهرة سلمية محدودة لأن سلطات الجامعة منعت دخول بعض الطالبات اللاتي يرتدين النقاب . المظاهرة السلمية المحدودة قامت بالفعل . وعندما استمعت إلى إحدى الإذاعات الموجهة المعروفة بشعبيتها في العالم الإسلامي وجدتها تذيع خبرا مطولا عن هذه المظاهرة ، وقدمت وجهات نظر سلطات الجامعة متضمنة العديد من التبريرات التي جعلتهم يتخذون قرارا بمنع دخول المنقبات ، في هذا المثال البسيط نجد أن الاذاعات الموجهة اتخذت من الصدق (قيام المظاهرات) وسيلة للكذب (تقديم التبريرات التي جعلت سلطات الجامعة تتخذ قرارا بمنع دخول المنقبات) لكن هذه التبريرات كانت تبريرات زائفة وغير صحيحة جملة وتفصيلا .

٢ ـ الالتزام بمبدأ «لكل دعايته» :

بمعنى أن الإذاعات الأجنبية عندما توجه دعايتها إلى الدول الإسلامية فإنها تكيف المضمون الدعائي وفق خصائص الجمهور المستهدف ، فهناك برامج تستهدف عامة جماهير المسلمين ، وهناك برامج تستهدف قطاعات جماهيرية معينة مثل النساء والأطفال والشباب ، والمثقفين ، وغير ذلك من القطاعات ، وتعنى مثل هذه البرامج بالاهتمامات الخاصة للقطاع الجماهيري المستهدف ، وتتنوع من حيث الشكل والمضمون وتكنيكات التقديم وفقا لخصائص وصفات هذا القطاع

الجماهيري أو ذاك ، ولعل هذا من أهم أسباب التنوع الواضح في برامج الإذاعات الأجنبية الموجهة للعالم الإسلامي .

٣ ـ نقل العدوى :

فبرامج الإذاعات الموجهة في معظمها تهدف إلى أن تحل أفكار وسلوكيات معينة محل الأفكار والسلوكيات الاسلامية ومن هنا تحرص هذه البرامج على نقل أفكار وسلوكيات الغرب الرأسمالي ، أو الشرق الشيوعي إلى الدول الإسلامية ، ولعل هذه الحقيقة تتضح بصورة أكبر في الإعلانات وبرامج المناقشات التي تقدمها الإذاعات الأجنبية ، فكثيرا ما تعمل الإعلانات مثلا على الترويج لسلع أو خدمات محرمة إسلاميا ، وكثيرا ما تعمل هذه الإعلانات على الترويج لسلوكيات استهلاكية لا تناسب الواقع الاقتصادي الإسلامي ولا تتماشى مع الدين الإسلامي شكلا وجوهرا لأن هذه السلوكيات مرتبطة بالتبذير وحياة الدعة والترف الزائد الذي يقتل في النفس نخوتها وشهامتها .

غير أن الأخطر في الأمر هو أن الإذاعات الأجنبية كثيرا ما تنقل نماذج من دولة إسلامية إلى الدول الإسلامية الأخرى طالما وجدت في هذه النماذج ما يتماشى مع ما تهدف إليه تلك الإذاعات من أهداف خبيثة ، فإذا كان هناك دولة إسلامية مثلا اتبعت طريقة معينة لحل مشكلة اقتصادية أو اجتماعية بأسلوب يتماشى مع ما تهدف إليه تلك الإذاعات ـ في هذه الحالة يتم تسليط الضوء على هذا الأسلوب وتقديمه كنموذج لتحتذى به الدول الإسلامية الأخرى .

٤ ـ المبالغة

تلجأ الإذاعات الأجنبية إلى التضخيم والمبالغة عندما تتناول قضايا العالم الإسلامي بما يحقق أهدافها ، فكثيرا ما تبالغ في تقديم الخلافات أو الانقسامات أو الحروب في العالم الإسلامي ، وكثيرا ما تبالغ في تقديم تجسيم الصعوبات الاقتصادية في بعض الدول الإسلامية ، وحتى في الأحداث الجارية Current affairs يتضح بجلاء المبالغة في الأرقام عندما تتناول الإذاعات الأجنبية حدثا عابرا كحريق ، أو حادثة ، أو مصادمات ... الخ .

٥ ـ خفة الروح والدعابة والنكتة :

حيث تلجأ الإذاعات الموجهة إلى ذلك من خلال الاعتماد على قائمين بالاتصال يتسمون بخصائص معينة مثل: خفة الظل ـ القدرة على الدعابة

وروح النكتة ، التأثير الروحي على الرأي العام ، وغير ذلك من العوامل التي تجعل للقائم بالاتصال تأثيرا «سيكلوجيا» في نفوس الجماهير، والتي تنعكس بالطبع على البرامج المذاعة.

٦ ـ ربط الأفكار بالواقع :

وذلك من خلال استغلال المشكلات والصعوبات في المجتمعات الإسلامية في النواحي المختلفة : الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، وإبراز هذه المشكلات والصعوبات جيدا وآثارها المتفاقمة بأسلوب معين .

ثم تطرح أفكاراً غير متفقة مع تعاليم الإسلام وإظهار هذه الأفكار على أنها تمثل العلاج (الناجح) لكل ما تعانيه المجتمعات الإسلامية من مشكلات وصعوبات .

٧ ـ التحريف والتشويه :

ويقصد بذلك نشر وتوزيع المعلومات غير الصحيحة والمحرفة عن العالم الإسلامي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ،وتصوير الواقع الإسلامي على أنه في شبه الميئوس من إصلاحه،وأن المجتمع الإسلامي قاب قوسين أو أدنى من الانهيار بهدف تيئيس الجماهير المسلمة وإضعاف عزيمتهم ، ففي المجال السياسي مثلا: تتطرق برامج الإذاعات الموجهة إلى استبداد وتسلط الحكومات ، وانتهاك حقوق الانسان ، وفي المجال الاقتصادي:تبرز هذه الإذاعات تفاقم الفقر والمشكلات الاقتصادية ، والإسراف والسرقات ... الخ ، وفي المجال الثقافي:تتحدث هذه الإذاعات عن تدهور التعليم وتدهور الخدمات الثقافية ، وفي المجال الاجتماعي:تبالغ هذه الإذاعات في زيادة السكان وتخلق العيوب في النظرية الإسلامية بخصوص المرأة وعلاقتها بالمجتمع ... الخ .

ويتصل بهذه النقطة ما تلجأ إليه الإذاعات الموجهة من تقديم جزء من الحقيقة وإهمال الجزء الآخر بما يغير المعنى كلية في الأخبار الخاصة بالدول الإسلامية .

٨ ـ التكامل الدعائي :

فالإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم الإسلامي تعمل في إطار متكامل بحيث يكون هناك تكامل وتنسيق بين مختلف نوعيات البرامج الإذاعية التي تقدمها ، وهذه الإذاعات لا تعمل منفردة في إطار الغزو الثقافي الأجنبي للعالم الإسلامي وإنما تعمل بالتكامل والتنسيق مع وسائل الدعاية المتعددة الأخرى التي يعتمد عليها هذا الغزو مثل: السينما،والتلفزيون،والصحافة، وغيرها بهدف تحقيق ما يسمى

بالدعاية الجماعية .

٩ ـ البساطة :

كثيرا ما تستخدم الإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم الإسلامي الأسلوب البسيط في برامجها التي تبثها إلى الجماهير ، ويكون ذلك من خلال : البساطة في الأسلوب اللغوي المستخدم ، تبسيط الموضوع الذي يتناوله البرنامج الإذاعي (حتى ولو كان موضوعا معقدا) البساطة في طريقة التقديم بحيث تكون تلقائية ومفهومة ... الخ .

١٠ ـ الانتشار والتركيز :

فالإذاعات الأجنبية الموجهة تعمل وفق مبدأ الانتشار والتركيز في الوقت نفسه ، فهي تستهدف الإنسان المسلم بصفة عامة وإن كان هذا لا يمنع من أنها تركز على بعض نوعيات من الجماهير المسلمة مثل المثقفين ، أو العمال ، أو الموظفين ... الخ ، وهي تحاصر جميع الدول الإسلامية ببرامجها وإن كان هذا لا يمنع من أنها تركز على بعض الدول ، وقد تبين أن الإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم الإسلامي كثيرا ما تركز على الطرف الأقوى سواء كان هذا الطرف يتمثل في شخصيات أو مؤسسات أو دول بعينها بهدف التأثير على هذا الطرف الأقوى أو ذاك في الاتجاه الذي يتماشى مع ما تهدف إليه تلك الإذاعات .

١١ ـ انتهاز الفرصة :

في تعاملها مع قضايا العالم الإسلامي تقف الإذاعات الأجنبية على أهبة الاستعداد لانتهاز الفرصة المناسبة ، فإذا كان هناك حكومة إسلامية مثلا يسود الانسجام بين أعضائها غير أنه حدث مجرد اختلاف في وجهات نظر الوزراء حول قضية معينة هنا تنتهز الإذاعات الموجهة هذه الفرصة لتقدم هذه الحكومة الإسلامية أو تلك كمثل سيء للحكومات وتستفتح الخبر بقولها : « في تطور مفاجيء وغير متوقع حدث كذا وكذا ... الأمر الذي يبرز الاختلاف الخطير بين أعضاء الحكومة ...» ثم تستطرد في تقديم الأفكار والآراء التي تدعم وجهة نظر الإذاعة وأهدافها بما يضر الصالح الإسلامي العام ليس في الدولة الإسلامية المعنية فقط وإنما في العالم كله .

١٢ ـ تقوية مركز الدائرة الدعائية وتوسيع نطاقه :

فالإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم الإسلامي تتخذ حدثا معينا وتركز عليه بحيث ينمو تدريجيا على مدار الزمن ، فالحدث هنا هو مركز الدائرة ، ونمو هذا الحدث هو اتساع

الدائرة ـ فاذا اتبعت حكومة إسلامية نمطا سياسيا أو اقتصاديا معينا لا يتماشى مع أهداف القوى التي ترتبط بها هذه الإذاعات ثم حدثت معارضة بسيطة لهذا النمط ـ في هذه الحالة تركز البرامج على إبراز صوت هذه المعارضة وتشجيعها على النمو والتزايد وتشجيع الجماهير والقوى الأخرى بشكل مباشر وغير مباشر على الالتفاف حول المعارضة ... وهكذا .

١٣ ـ اتباع أسلوب الشريك البائع :

تتخذ المنظمات المعنية بتحقيق الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي ـ معاونين لها من داخل هذا المجتمع ، سواء كان هؤلاء المعاونون أشخاصاً أو مؤسسات أو غير ذلك . فالبعض من أبناء العالم الإسلامي ـ بكل أسف ـ موالون ولاء تاما لقوى وأفكار أجنبية ضد الإسلام تماما سواء بوعي أو بغير وعي ، وهؤلاء يمثلون حلقة اتصال فعالة بين المرسل (Source) ـ وأعني به المنظمات المعنية بالغزو الثقافي ـ والمستقبل (Audience) ـ وأعني به المجتمع الإسلامي .

١٤ ـ التجاهل المتعمد

كثيرا ما تتجاهل الإذاعات الأجنبية بعض القضايا والأحداث في العالم الإسلامي (حتى ولو كانت مهمة) إذا كان تقديم هذه القضايا والأحداث يتنافى مع أهداف تلك الإذاعات ، فعلى سبيل المثال تتجاهل الإذاعات الأجنبية ما يتعرض له المسلمون في بعض الدول غير الإسلامية من اضطهاد وتشريد وتعذيب وقتل،في الهند والاتحاد السوفيتي وسيرلانكا والفلبين ، وكثيرا ما تتجاهل دور المؤسسات والشخصيات الإسلامية النشطة وهكذا .

١٥ ـ توظيف المصادر لخدمة الأهداف :

فالإذاعات الأجنبية عندما تتناول أخبار العالم الإسلامي نجدها كثيرا ما تقوم بالآتي :

أ ـ الاعتماد على المصادر الموثوقة (Appeal to Authority) لتأكيد صحة الأخبار التي تتماشى مع أهدافها ، وبالتالي كسب المصداقية (Credibility) لما تذيعه من أخبار لأنه كلما زادت الثقة في المصدر زادتْ القابلية لتصديق الرسالة الدعائية المقدمة .

ب ـ عدم تحديد المصدر : وذلك عند تقديم معلومات كاذبة أو مشكوك في صحتها وتقدمها الإذاعة على أنها معلومات صحيحة ومؤكدة . في هذه الحالة لا يتم تحديد المصدر حتى لا تكون هناك فرصة لتكذيب الإذاعة وبالتالي التقليل من مصداقيتها أمام

الجماهير .

١٦ ـ القابلية للتصديق :

تعمل الإذاعات الموجهة بشكل مستميت على أن تكون ذات مصداقية بين الجماهير المسلمة وذلك من خلال أساليب تقديم البرامج نفسها ، فهي تقدم برامجها بأساليب توحي بالحياد والموضوعية وعدم التحيز لوجهة نظر معينة ، وتدعم برامجها ببعض الحقائق التي لا يتطرق اليها الشك ، وفي ثنايا ذلك كله من الممكن أن يتضمن كل ما يناقض الصدق والحياد والموضوعية ، وإن كان من الصعب اكتشاف ذلك بسبب الأسلوب الذكي في تقديم البرامج .

١٧ - التلميح والغمز

ويتضح ذلك في استخدام الإذاعات الموجهة لمصطلحات ذات مفاهيم معينة مثل : الإرهاب والعنف ، والشيوعية والإمبريالية ـ الخ ، وتستخدم هذه المفاهيم في إطار تناول أحداث خاصة بدولة أو منظمة أو شخص ، غير أن الوصف في هذه الحالة لا يتم بالأسلوب المباشر وإنما بالأسلوب غير المباشر ،

١٨ ـ عرض الرأي على أنه حقيقة :

في سياق العمل على تحقيق أهدافها في المجتمع الإسلامي كثيرا ما تقدم الإذاعات الأجنبية الآراء على أنها حقائق لا تقبل الجدل والنقاش في الوقت الذي تكون فيه هذه الآراء مجرد آراء

١٩ ـ الارتباط المزيف

فكثيرا ما تربط الإذاعات الموجهة بين قضيتين ليس بينهما أي صلة ، ففي إحدى الدول الإسلامية ، أثيرت قضية الغاء الرقابة على المصنفات الفنية وأحدثت ضجة إعلامية كبيرة وفي إحدى النشرات الإخبارية بإذاعة موجهة أذيع خبر يتضمن الربط بين الاتجاه نحو إلغاء الرقابة على المصنفات الفنية من جهة والتوسع في الخدمات الثقافية التي تقوم بها الدولة من جهة أخرى ، ولا أدري ما هي العلاقة بين القضيتين ، ألا يمكن أن توجد رقابة فنية صارمة وتوسع في الخدمات الثقافية التي تقوم بها الدولة في الوقت نفسه ؟

٢٠ ـ التكرار والتنوع :

فالإذاعات الأجنبية الموجهة للعالم الإسلامي تنوع في برامجها شكلا ومضمونا باستمرار مع الالتزام في كل الأحوال بجوهر الأهداف التي تناقض الإسلام كلية في نفوس الجماهير الإسلامية المستهدفة .

● **وأخيراً** فان الإذاعات الأجنبية الموجهة للعالم الإسلامي ، تنفذ كل ما سبق على أساس من المعرفة الكافية لخصائص وظروف هذه الدول من النواحي المختلفة، وعلينا أن نحذر هذه الإذاعات.

يا أيها المبعوث جئت معلماً

للدكتور/ عبدالمنعم عبدالله حسن

اقرأ ... وماأحلى البداية! إنها
الومضة الأولى توضح منهجاً
يا أيها المبعوث جئت معلماً
أنقذت يوم بعثت فينا... أمة
أرأيت كم نشروا الفساد وأسرفوا
كم بددوا أمن الحياة وهتّكوا
ومضى الزمان بهم سدى فتأخروا
إن الحياة إذا تأخر ركبها
ماأحوج الأيام - إن هي أبصرت -
والعلم دعوتك التي أعلنتها
قدت الحياة به، وكان طريقها
العلم بعثتك الكريمة للورى

يا سيدي جئت الحياة معلماً
لم يبق بين الناس في أرجائها
ومكارم الأخلاق قد أرسيتها
فلتمتثل بخلاقك الأمم التي

المرسلون أتوا وكنت ختامهم
سبقوك ميلاداً وسبقوا بعثة
إنّا بمولدك المبارك نحتفي
يا أيها المبعوث جئت معلماً

هدى عليك من السما يتنزل
بضياه تبعث يانبي وترسل
فاقرأ وهديك في القران مفصل
كادت تضيع هناك إذ هي تجهل
في الظلم كم سفكوا الدما كم قتلوا
أعراضها، وعتوا هناك وضللوا
وتأخرت بهم الحياة... فأهملوا
فالناس فيها دون ريب جُهّل
للعلم كي تمضي ولاتتعطل
وبثثتها في الناس كي لايجهلوا
وعراً، إذا هو من هداك مسهل
فليعلموا... وليفقهوا... وليعملوا

فإذا الحياة على يديك تُبدل
ظلم، وإنك يا محمد تعدل
فالنبل فيما قد دعوت مؤصل
أحييتها فهداك نهج أمثل

فإذا البناء على يديك يكمّل
وأتيت آخرهم وأنت الأول
والكون في ذكرى النبي يهلل
والناس حولك دائماً كي ينهلوا

مائدة القارىء

قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم).

الآيتان ـ آخر سورة التوبة

بين الرجاء والأمنية

قال الغزالي مبينا الفرق بين الرجاء والأمنية: إن الرجاء يكون على أصل، والتمني لايكون على اصل، مثاله: من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول: أرجو ان يحصل منه مائة قفيز، فذلك منه رجاء. ومن لايزرع زرعا، ولايعمل يوما قد ذهب، ونام وأغفل سنة، فإذا جاء وقت البيادر يقول: أرجو أن يحصل لي مائة قفيز، فيقال من أين لك هذه الأمنية التي لاأصل لها؟ فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن معاصيه يقول: أرجو ان يتقبل الله هذا اليسير، ويتم هذا التقصير، ويعظم الثواب، فهذا رجاء منه، واما اذا غفل وترك الطاعات، وارتكب المعاصي، ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده، ثم اخذ يقول: أرجو من الله الجنة والنجاة من النار، فذلك منه أمنية لا حاصل لها، سماها رجاء وحسن ظن خطأ منه وجهلا.

حكمة

لاتبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام

هلمّ عن النار

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ماحولها، جعل الفَراشُ وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحْجُزُهن ويَغْلِبنه فيتقحّمنَ فيها، قال: فذلكم مثلى ومثلكم، أنا آخذ بحُجَزِكم عن النار، هلمّ عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقحمون فيها).
رواه مسلم

لهذا صار طبيبا

كان يعمل مصوّرا، وفجأة ترك التصوير. ولجأ الى تعلم الطب، فقال له صديقه: لِمَ تركت التصوير ولجأت الى الطب، فقال:

لما رأيتُ خطر التصوير ظاهرا للعيان، وخطأ الطب يواريه التراب. تركت التصوير ودخلت في الطب.

الله عودك الجميل

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط لك في عواقبه رِضَا
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
الله يفعل مايشاء فلا تكن مُتعرضا
الله عوّدك الجميل فقس على ماقد مضى

علم الحيوان في التراث الإسلامي

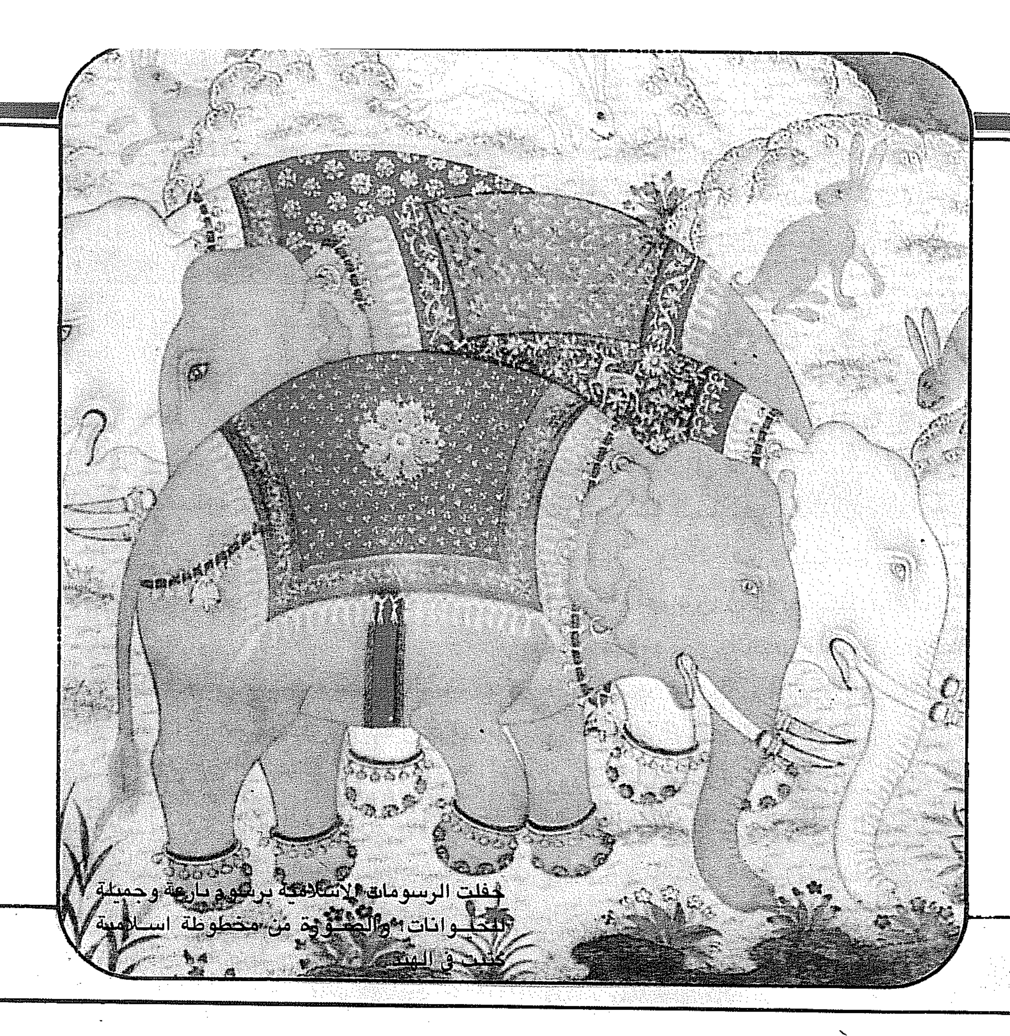
للمهندس / محمد عبد القادر الفقي

احتل الحيوان مساحة كبيرة في التراث الإسلامي ، وحفل كتاب الله الكريم بالكثير من الآيات التي تدعو الإنسان إلى استلهام العبرة من الحيوان ، وإلى التأمل في خلقها للاستدلال بذلك على قدرة الحق - عز وجل -، والإيمان به . قال تعالى :

« **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين** » سورة النحل/ الآية ٦٦ .

« **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟**» سورة الغاشية/ الآية ١٧ .

« **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون . وعلى الله**



حفلت الرسومات الإسلامية برسوم بارعة وجميلة للحيوانات ، والصورة من مخطوطة اسلامية كتبت في الهند

قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين** » سورة النحل/ الآيات ٥ ـ ٩ . كما دعا القرآن الكريم المسلمين إلى عدم الفساد في الأرض وذلك بتجنب إهلاك الدواب والمحاصيل التي تتغذى عليها الحيوانات والإنسان . قال تعالى :

« **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** » سورة البقرة/ الآية ٢٠٥ . وكذلك حثت السنة النبوية على معاملة الحيوانات بالرأفة والرفق ، إلا في حالة الدفاع عن النفس .

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :ـ « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » رواه البخاري

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال :

« نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة ، فأمر بجهازه، فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار فأوحى الله إليه فهلاً نملةً واحدةً ؟» رواه البخاري

وقد نصت السنة النبوية على أن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة . فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له » قالوا : يارسول الله : وإن لنا في هذه البهائم لأجرا ؟ فقال : «في كل كبد رطبة أجر » رواه مسلم .

تأليف الكتب والمراجع العلمية :

كما حث ديننا الحنيف على العناية بالحيوانات ، لذا نرى أن علماء المسلمين ألفوا الكتب الخاصة في الحيوانات مثل الإبل ، والخيل ، والأغنام ، والطير ، والوحش . وكان علماء اللغة أول من صنفوا المؤلفات في علم الحيوان ، بحيث تناولت كتاباتهم معاني الأسماء التي تشير إلى أنواع الحيوانات المعروفة في العالم الاسلامي . ولم تكن هذه المؤلفات مجرد ذكر لأسماء ومرادفاتها ، بل تعدت ذلك إلى دراسة الحيوان من حيث شكله الخارجي وأحواله ومعاشه وأوصافه واختلافه وأجناسه[1]. وقد اعتمد اللغويون في دراساتهم هذه على ما ورد في ديوان الشعر العربي بشأن الحيوانات واختلافاتها وصفاتها وطبائعها ، وما تناقلته الأخبار ، وما زودته التجربة والصلة المباشرة بأنواع الحيوانات القريبة والبعيدة ، خاصة ما كان يعيش منها في شبه الجزيرة العربية . ولقد كانت هذه المؤلفات نواة الدراسات العلمية الاسلامية في علم الحيوان . وبعد ذلك ، نشطت حركة ترجمة مؤلفات الحضارات الأخرى ، فترجم كتاب « طباع الحيوان » لأرسطو طاليس ، وكتاب آخر في « طب الخيل » . ولم يهمل علماء الاسلام الذين كتبوا في علم الحيوان الاستفادة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن الحيوانات .

وقد حرص الأطباء المسلمون على الاستفادة من الحيوانات في العلاج . وحفلت كتب الطب والعقاقير

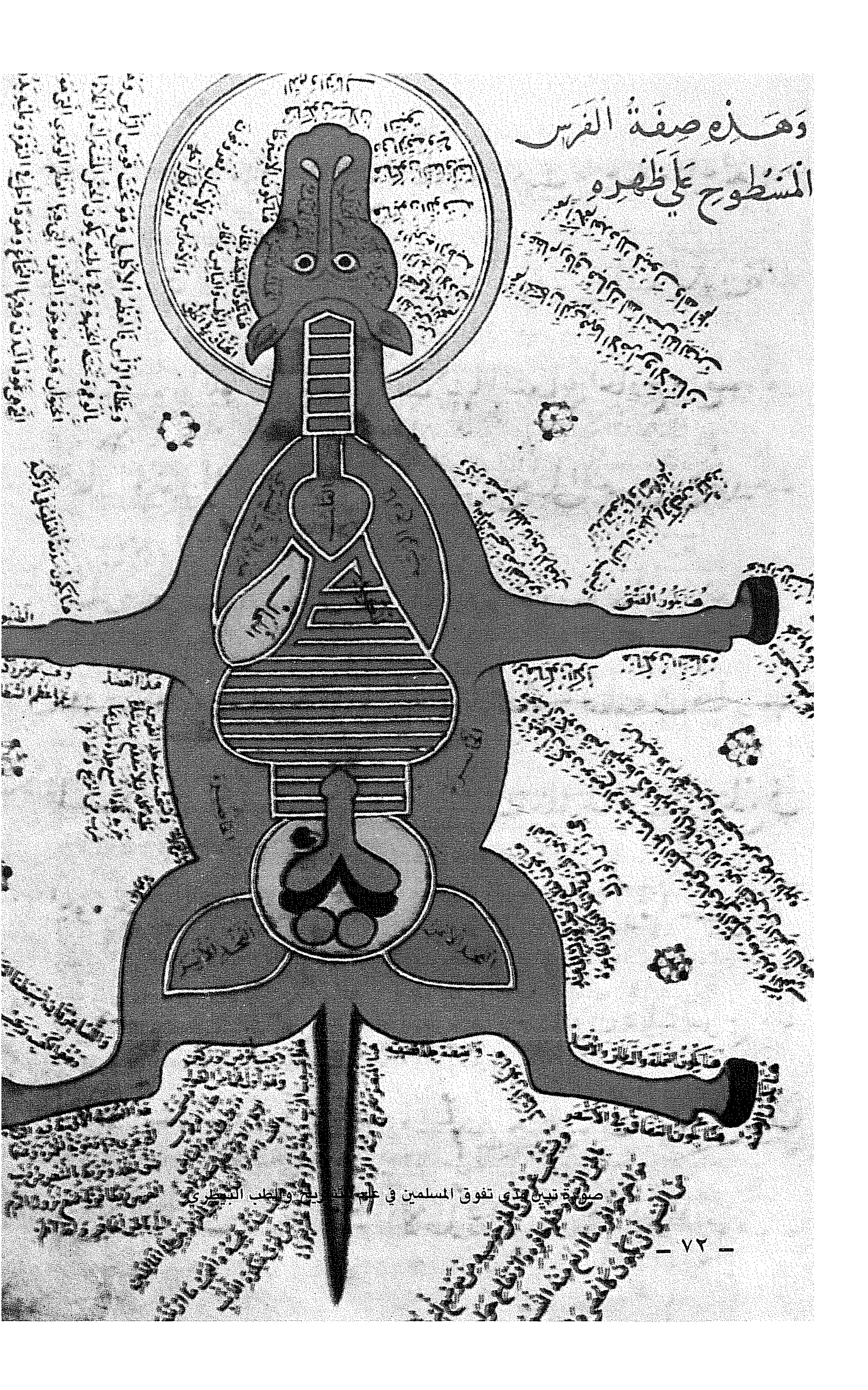
الإسلامية بذكر أنواع كثيرة من الحيوانات التي تصلح مادة للعقاقير والأدوية ، من بينها كتاب (القانون في الطب) لابن سينا ، و(الحاوي) للرازي . « كما ذكرت كتب النبات والفلاحة جملة واسعة من الحيوانات التي تقتات على النبات من حشرات وديدان وغيرها وأسلوب مكافحتها . ولم يكن ذكر هذه الحيوانات مجردا من الوصف الدقيق ، بل على العكس ، نجد في بعضها تفصيلات دقيقة لأجزائها وما تختلف به عن غيرها من نفس الفصيلة أو النوع . وحفلت كتب الرحلات بأوصاف الحيوانات التي شاهدها الرحالة المسلمون في أسفارهم إلى مناطق بعيدة تختلف في المناخ والأحوال الجوية عن مناخ البلدان التي عاشوا فيها فكان ذلك إضافة مهمة في معرفة علماء المسلمين بالحيوان ».

ولم تقتصر اهتمامات المؤلفين الاسلاميين على دراسة الحيوان وبيئته التي يعيش فيها ، بل تجاوزت ذلك إلى دراسة سلوكه وما يختص به من صفات نفسية ، وردود فعله ، وأساليب حركته ، وفوائده ، واستخداماته ، وغير ذلك من الموضوعات المتصلة بالحيوانات .

ومن أهم المؤلفات الاسلامية التي تناولت الحيوانات والبيئة الحيوانية : كتاب (حياة الحيوان) للدميري ، وموسوعة (الحيوان) للجاحظ ، وكتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) للقزويني ، و(مسالك الأبصار في أخبار سلوك الأمصار) لشهاب الدين الكرماني .

وقد حرص بعض المؤلفين الإسلاميين على ترتيب الحيوانات في كتبهم ألفبائيا لتيسير عملية البحث العلمي على القراء . كما حرصوا على ذكر المرادفات التي تمثل الأسماء الأخرى للحيوان ، مع وصف الحيوان وصفا مفصلا يكفي لتحديد نوعه أو جنسه على الأقل . وفي بعض المؤلفات ، كان المؤلفون يذكرون حكم الشريعة الإسلامية في كل حيوان من حيث التحليل أو التحريم .

وقد تضمنت مؤلفات العلماء المسلمين جميع الحيوانات التي عرفوها في البلدان الإسلامية ، سواء ما كان منها يعيش في الحواضر أو البوادي ، أو ما كان منها أليفا أو متوحشا . واهتموا اهتماما ملحوظا بالإبل والخيل والشاء والحشرات والوحوش والأسماك والنحل والنمل والذباب والطيور المنزلية والمائية وغير ذلك من الحيوانات . كما اشتملت معرفتهم على أنواع أخرى من الحيوانات التي لم يقتنوها ولم يعرفوها في بيئاتهم . وتميزت مؤلفات



صورة تبين مدى تفوق المسلمين في علم التشريح والطب البيطري

المسلمين في علم الحيوان بالدقة والإجادة ، فتناولوا فيها الشكل العام والحجم والوزن واللون ، وطريقة التكاثر ، والأصوات التي يصدرها كل حيوان ، وطرق معاشه .

العناية بالطب البيطري :

كانت الخيل والإبل والأغنام من الحيوانات التي اعتمد عليها المسلمون الأوائل في حروبهم وترحالهم وغذائهم . لذلك ، لا غرابة أن علماء المسلمين اهتموا بإيجاد علاج للأمراض التي تتعرض لها هذه الحيوانات المفيدة كوسيلة للنقل والغذاء . وقد ابتكروا كثيرا من الأدوية لعلاج بعض الأمراض التي تصيب الحيوانات ، كما كتبوا بعض الوصفات العلاجية التي يمكن أن تعمل للحيوانات مثل التدليك والتغسيل والتنظيف المستمر . ومن أمراض الحيوانات التي داووها : الجرب ، والطاعون ، والكلب ، والزحار ، والرغام . وقد بينوا علامات هذه الأمراض وأعراضها ، كما عرفوا أمراض الخيل والإبل العصبية والعينية .

وأفاض بعض علماء المسلمين في تشريح الحيوانات للتعرف على مكوناتها الداخلية والاستفادة من ذلك في الدراسات الطبية .

وقد اهتم أعلام المسلمين باستخدام الحيوانات في التجارب العلمية . فالرازي ـ على سبيل المثال ـ استخدم القردة في تجاربه لمعرفة تأثير الزئبق ومركباته عليها ، وذلك قبل أن يوصي باستخدام هذه المركبات في علاج الإنسان ، وصنع الجاحظ صنيع الرازي أيضا . ويذكر قدري طوقان المنهج العلمي الذي كان يتبعه الجاحظ في تجاربه على الحيوان فيقول :

«كان يقطع الجاحظ طائفة من الأعضاء وفي بعضها كان يلقي على الحيوان ضربا من السم ، وحينا كان يرمي بتجربته إلى معرفة بيض الحيوان والاستقصاء في معرفة صفاته وكان حينا يقدم على ذبح الحيوان وتفتيش جوفه وقانصته ومرة كان يدفن الحيوان في بعض النبات ليعرف حركاته ومرة كان يذوق الحيوان ، وكان في أوقات يبعج بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده وفي أوقات كان يجمع أضداد الحيوان في إناء من قوارير ليعرف تقاتلها وكان يلجأ في بعض الأحايين إلى استعمال مادة من مواد الكيمياء ليعلم تأثيرها في الحيوان. ولم يقف الجاحظ عند حدٍّ إجراء التجارب بنفسه واتباع منهج خاص لكل منها، بل كان في كثير من الاحيان يشك في النتائج التي يتوصل

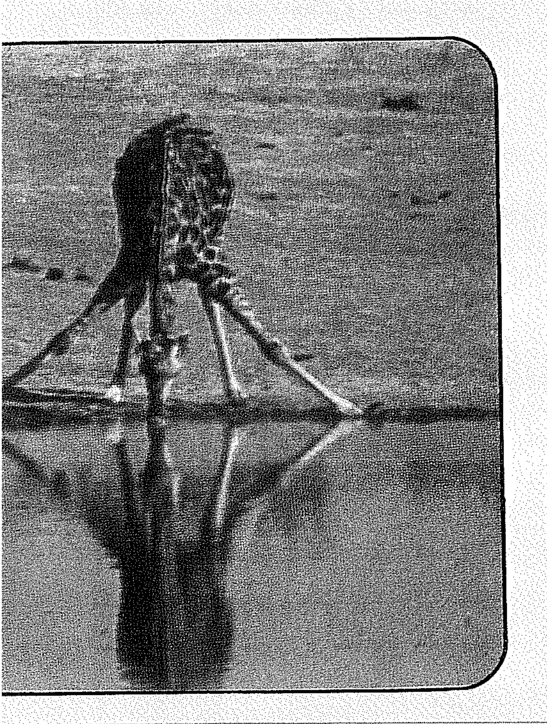
إليهـا، ويستمـر في الشـك وتكـرار التجربة بل ويدعـو إلى ذلك كله حتى تثبت صحة النظريات والآراء وتتجلى له الحقيقة» .

وقد انتشرت في العالم الاسلامي المـؤسسـات الخيـريـة التي تعتني بالحيوانات المريضة وكان المحسنون يتبـرعون بـأوقاف خـاصة لتـطبيب الحيـوانـات، وأوقـاف أخـرى لرعي الحيوانات المسنة العاجزة ففي دمشق على سبيل المثـال كانت أرض المـرج الاخضر وقفـا للخيول العـاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها ومن أوقاف دمشق أيضـا وقف للقطط تأكل منه وتـرعى وتنام، حتى لقـد كـان يجتمـع في دارهـا المخصصة لها مئات القطط الفـارهة السمينة التي يقدم لها الطعام كل يوم وهي مقيمـة لا تتحرك إلا للريـاضـة والنزهة .

نماذج من كتابات علماء المسلمين في علم الحيوان :

درس ابن سينا في كتابه (الشفاء) دراسة وصفية مقـارنة فـذكر بعض الخصـائص التي تتميـز بهـا بعض الحيـوانات عن غيـرهـا ومثـال ذلك قوله :

«وأكثر ماله قرنان هو ذو ظلف،وأما ماله قرن واحد كالحمار الهندي وأظنه الكـركدن، فله حـافر وقـرن في وسط رأسـه،ومن الحيوان مـاله أسنان في الفكـين ومنه مـا أسنـانـه في الفـك الاسفـل ... وأما البقـر وما يجـرى مجراه فأسنانه متلاصقة كأنه عـظم واحـد وذلك ليقطع الكـلأ» .وتنـاول القزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) تأثير البيئة على الحيوان فقال: «وأما الحيوان فإن الفيل لايتولد الا في جزائر البحار الجنوبيـة، وعمرهـا بأرض الهند أطول من عمـرها بغـير أرض الهند، وأنيابهـا لا تعظم مثـل التي تعظم بأرضها،والزرافة لا تتولد الا بأرض الحبشة، والجاموس لايتولد إلا بالبلاد الحارة قرب المياه ولايعيش



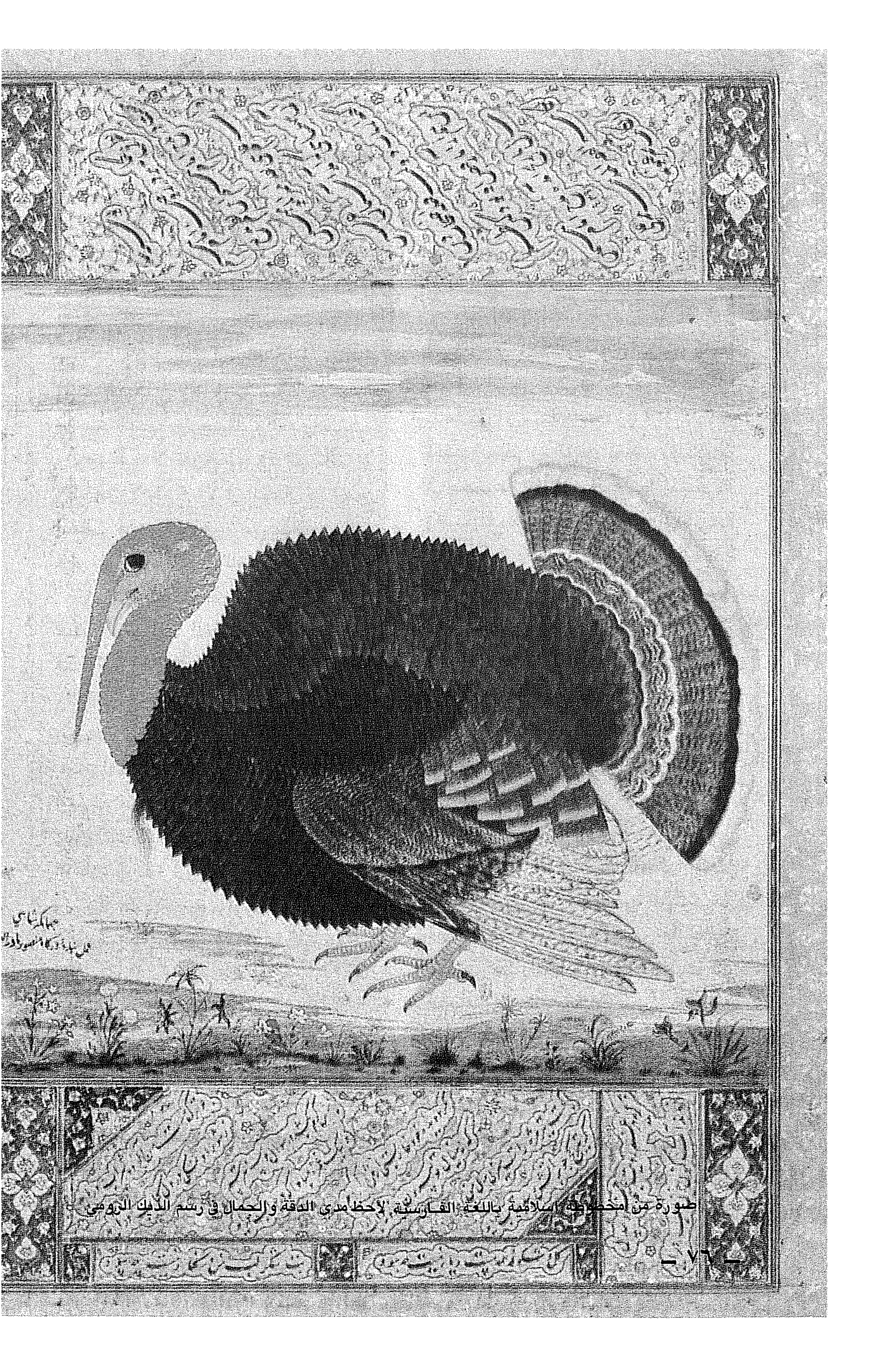
بالبلاد الباردة،والسنجاب والسمور وغزال المسك لا يتولد إلا في البلاد الشرقية الشمالية. والصقر والبازي والعقاب لا يتفرخ إلا على رؤوس الجبال الشامخة، والنعامة والقطا لايفرخان إلا في الفلوات والبطوط وطيور الماء لا تفرخ إلا في شطوط الأنهار والبطائح والآجام والفواخت والعصافير لا تفرخ إلا في البساتين والحجل لا يفرخ الا في الجبال هذا هو الغالب فإن وقع شيء على خلاف ذلك فهو نادر والله الموفق للصواب».

ودرس الجاحظ ظواهر العدوان عند الحيوانات الفقرية ورد أسباب هذا العدوان إلى الغريزة الجنسية والتنازع على الغذاء والدفاع عن الصغار يقول في كتابه (الحيوان):

«والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج فلا يدع خنزيرا الا قتله .. وذكورة الخنازير تطرد الذكورة عن الاناث وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا،وكذلك الثيران والكباش والتيوس في أقاطيعها وهي قبل ذلك الزمان متسالمة».

ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: «وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ساءت أخلاقها وصعبت،وكذلك إناث الخيل والفيل يسوء خلقها في ذلك الزمان ... وإناث الكلاب تصعب أخلاقها إذا كان لها جراء. وكل شيء له بيض أو جراء أو فراخ فأسوأ ما يكون خلقه وأنزق، وأكثر ما يكون أذى واعرم إذا كان كذلك، إلا إناث البقر».

وقد اهتم الجاحظ بدراسة التطور البيولوجي في كتابه (الحيوان) فقد صنف الحيوانات في سلاسل خطية بدءا من الابسط واستمرارا إلى الأكثر تعقيدا وقام في الوقت نفسه بتنظيمها في مجموعات حسب صفاتها المشتركة وقسم المجموعات الى مجموعات فرعية مستمرا في ذلك حتى وصل إلى الوحدة الاساسية وهي النوع وقد أعطى الجاحظ وزنا أكبر للتطور بواسطة الصراع من أجل البقاء. وهذا الصراع في وجهة نظره قانون إلهي فالله سبحانه وتعالى يصنع الطعام لبعض المخلوقات من أجساد مخلوقات ماتت ويقول «يذهب الفأر ليجمع طعامه، فيبحث عنه ويمسكه.. كما أنه يخبىء صغاره في أوكار مخفية تحت الأرض ليحميها ويحمي نفسه من اعتداءات الثعابين والطيور،فالثعابين تشتهي أكل الفئران كما انها أي الثعابين تحمي نفسها من حيوانات أقوى منها مثل القنادس (كلاب الماء) والضباع،ويستطيع الضبع أن يخيف الثعلب كما أن الثعلب يخيف كل الحيوانات الاضعف منه ... هذا هو القانون الذي يجعل من بعض الأحياء طعاما لأحياء أخرى ... كل

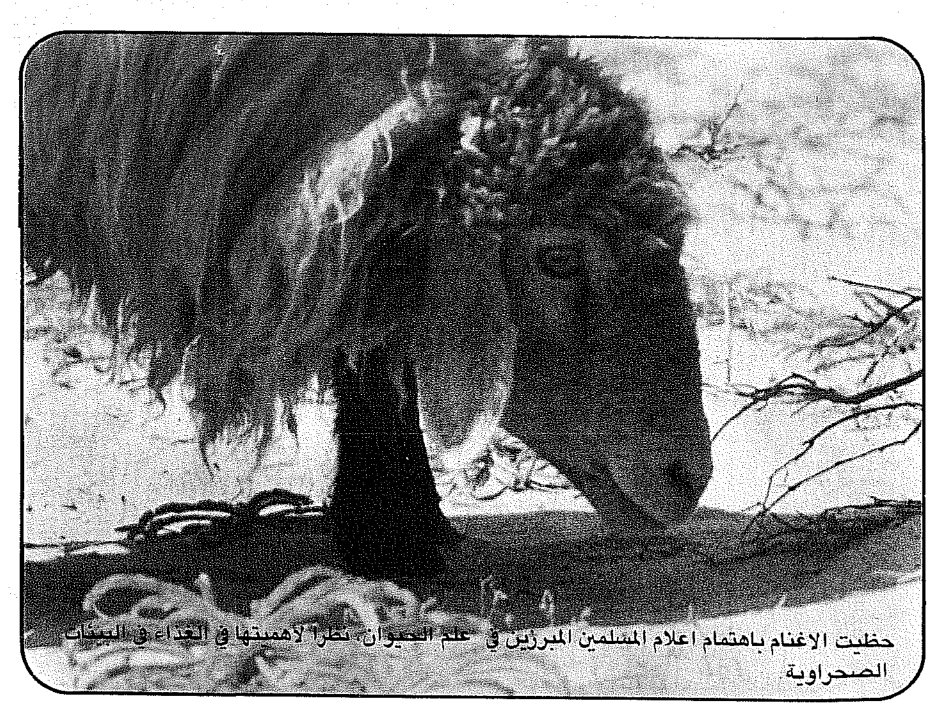


صورة من مخطوطة اسلامية باللغة الفارسية لاحظ مدى الدقة والجمال في رسم الديك الرومي

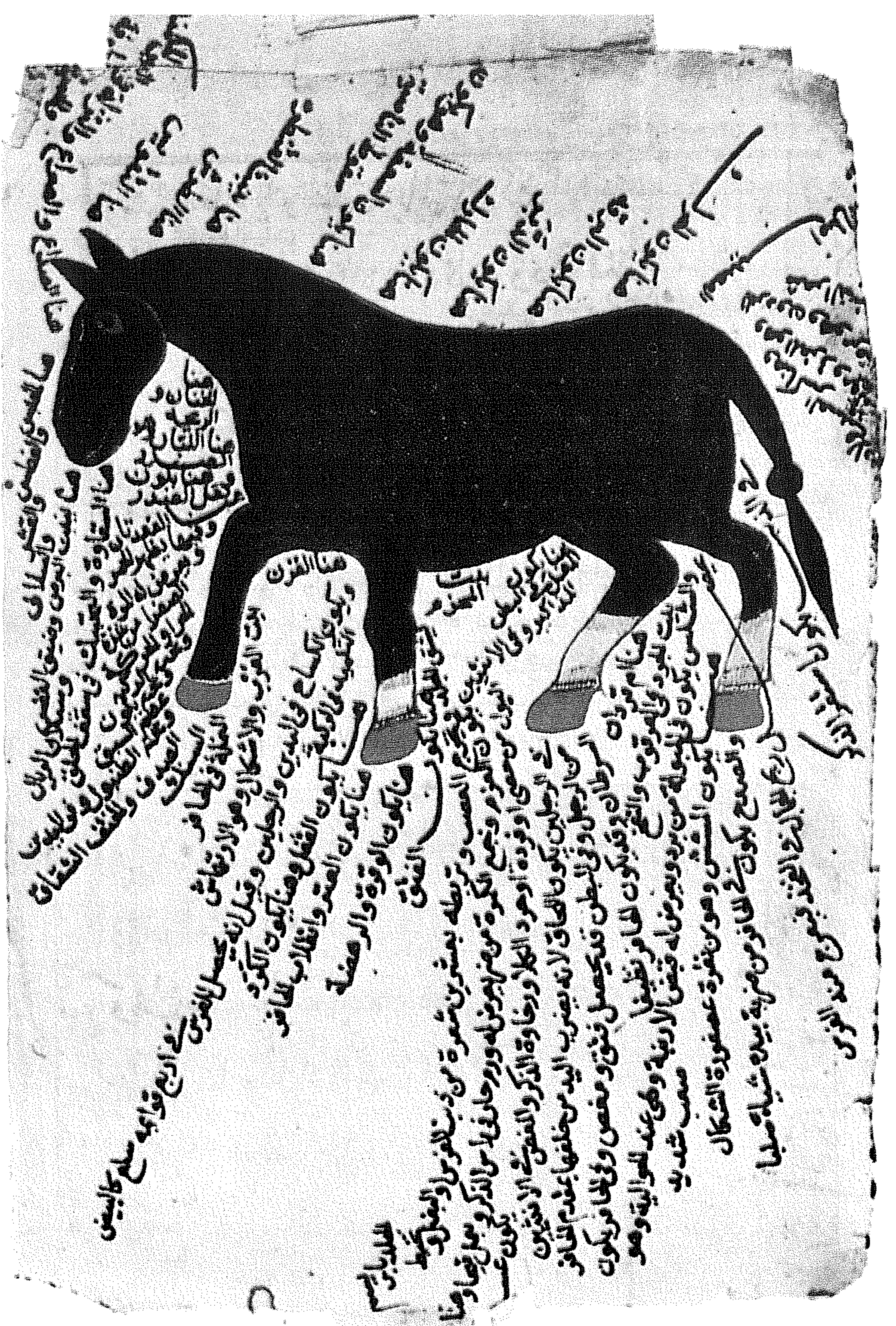
الحيوانات الصغيرة تأكل تلك الأصغر منها ولكن الحيوانات الكبيرة لاتستطيع أن تأكل تلك الاكبر منها .. والله سبحانه وتعالى يوجد أسباب الحياة لبعض الكائنات وأسباب الموت لأخرى.وهكذا دواليك».

ويذهب الجاحظ إلى أن الصراع ليس قائما بين أفراد الانواع المختلفة ولكنه قائم أيضا بين أفراد النوع الواحد ويفهم مما قاله هذا العلاَّمة أن الله عز وجل خلق الطبيعة وأودع فيها خاصية التكاثر والنماء ولكنه سبحانه وتعالى أوجد في الوقت نفسه ناموسا طبيعيا هو قانون الصراع البيولوجي من أجل البقاء حتى تبقى الطبيعة في إطار محدود فلا يتفوق جنس على جنس آخر.

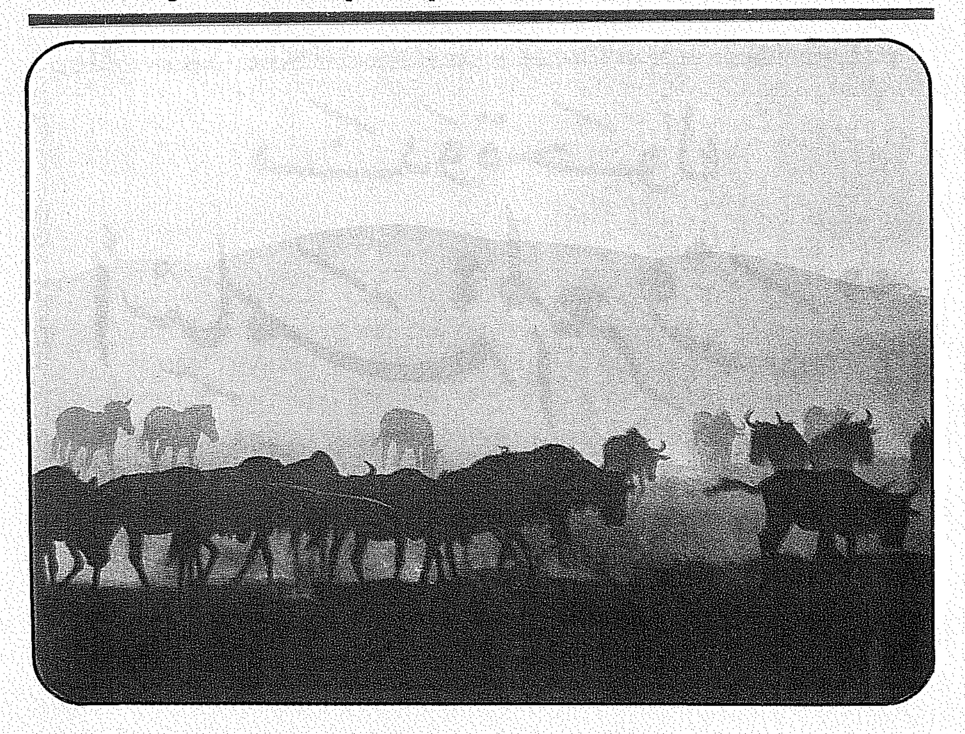
وقد انتقلت أفكار الجاحظ وغيره من أعلام المسلمين الى أوروبا. حيث درسها علماؤهم الذي اشتهروا ببحوثهم في علم الحيوان . فداروين، الذي تعزى إليه نظرية التطور درس الثقافة والعلوم الاسلامية في كمبردج على يد يهودي شرقي اسمه (صموئيل لي) كما أن كتب علماء المسلمين التي تناولت الحيوانات ترجمت إلى اللاتينية واللغات الأوروبية قبل ظهور المدارس التي عنيت بالفلسفة الطبيعية فكتاب الدميري (حياة الحيوان) على سبيل



حظيت الاغنام باهتمام اعلام المسلمين المبرزين في علم الحيوان نظرا لأهميتها في الغذاء في البيئات الصحراوية.



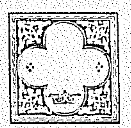
صورة من مخطوطة اسلامية توضح التشريح السطحي ووظائف اعضائه الخارجية.

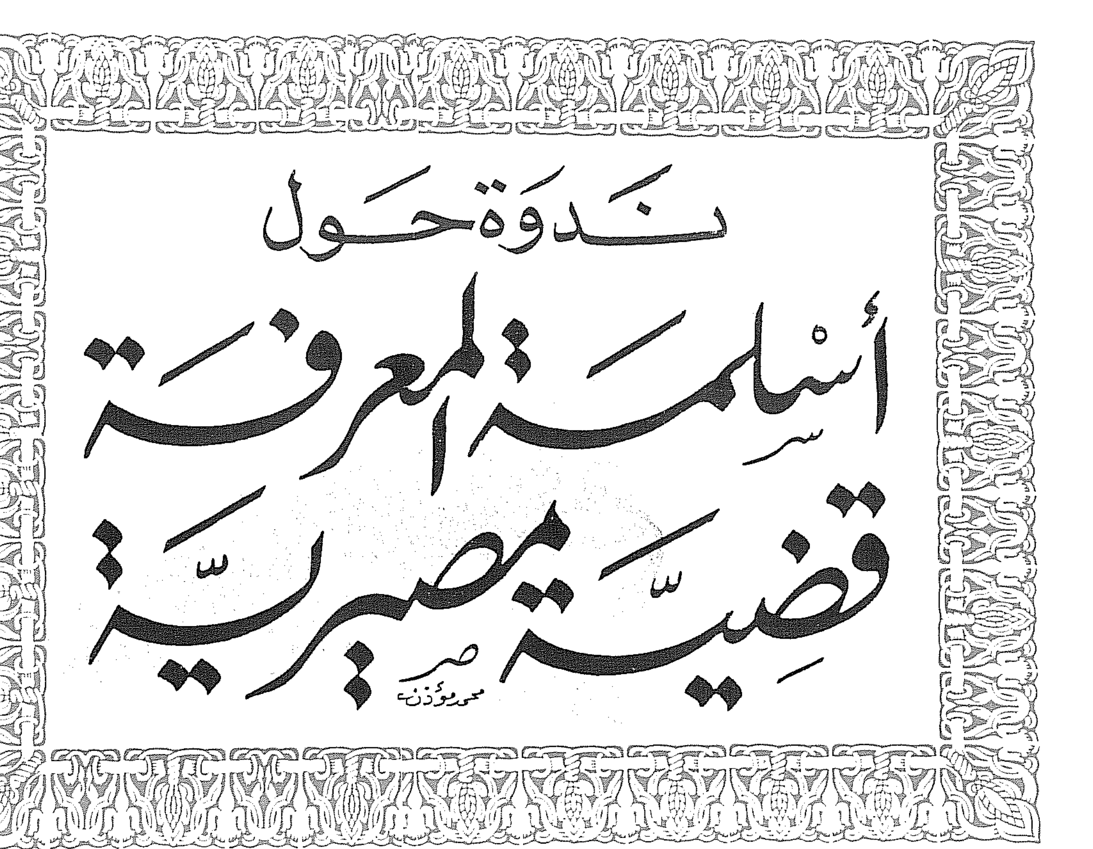


المثـال ترجم جـزئيا إلى اللاتينيـة في القرن السابع عشر الميلادي ونشر في باريس عام ١٦١٧ وكذلك كتاب (حي ابن يقظان) لابن طفيل الذي يحتوي فلسفة التطور نشر في اكسفورد عام ١٦٧١.

الحيـوان في الأدب العـربـي والإسلامي:

حفلت دواوين الشعر بالحديث عن الحيوانات أما النثر فقد شـاع فيه استخدام الحيوان وسيلة للتعبير. وقد تـرجم ابن المقفع في العصر العبـاسي (كليلة ودمنة) إلى العربية وأصبحت لحكايات هذا الكتاب شعبية كبيرة بين القراء والكتاب على حد سواء وقد ألف أعلام المسلمين مجموعة من القصص والكتب التي تدور وقائعها وأحداثها على ألسنة الحيوانات وفي الوقت نفسه تـرمي إلى ضرب المثـل والتعبـير عن الفكـر واتخاذهـا عبرة عـلى أحـوال البشر.





*** الإسلام دعا للعلم واحترام العقل فكان ازدهار العلوم والمعارف. في عصور الحضارات الإسلامية.**

للأستاذ
مجدي مصطفى محمد بدوي

تعد قضية «أسلمة المعرفة» من الموضوعات الهامة المطروحة على ساحة الفكر الإسلامي الآن، لما للمعرفة والعلوم من دور في تأصيل المعاني الحضارية البارزة في المناهج الإسلامية التي تعد أملا منشودا لكل العلماء المسلين المهتمين بهذه القضية.

وتبدو أهمية تأصيل هذا الجانب في وقت تتصارع فيه الأيديولوجيات بشكل عجيب وتتنافس في كل المجالات بما فيها المجال العلمي باعتبار أن نتائجه من التكنولوجيا والمعدات في المجالات العسكرية والطبية والصناعية وغيرها وسيلة ضغط أو كسب أسواق أو ما إلى ذلك.



لذا فكان طبيعيا أن نسمع عن نوع جديد من السرقات، هي سرقة التكنولوجيا والتجسّس في هذا المجال، علاوة على تلوين النظريات العلمية تبعا لهذا الاتجاه أو ذاك، الأمر الذي يدعو المسلمين لأهمية استعادة دورهم الحضاري الأصيل القائم على أصول علمية إسلامية ثابتة يقيم عليها حضارته ونهضته، لتنجو الأمة الإسلامية من شراك التخلف والضعف.

حول هذه القضية «أسلمة العلوم» كانت الندوة التي عقدتها مؤخرا في القاهرة جمعية الاقتصاد الاسلامي بالتعاون مع معهد الفكر الإسلامي بواشنطن، حيث تحدث فيها الدكتور/محمد سليم العوا أستاذ الفقه المقارن بجامعة الزقازيق.

والدكتور/محمد حمدي زقزوق عميد كلية أصول الدين (جامعة الأزهر).

والدكتور/احمد فؤاد باشا أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة.

وأدار الندوة الدكتور/جمال الدين عطية ـ مدير المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن.

في البداية يتحدث الدكتور/محمود حمدي زقزوق عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر فيقول: «ان موضوع «أسلمة المعرفة» يعد من الموضوعات

المصيرية في تاريخ الأمة الإسلامية لأنه يتوقف عليه توجيه العقلية الفكرية الاسلامية إلى الخط السليم حتى تعود الأمة إلى سابق عهدها.

فلقد جاء الإسلام ولم يكن في قريش كلها سوى سبعة عشر رجلا ممن يعرفون القراءة والكتابة، ودخل الاسلام المدينة؟ولم يكن بها إلا أحد عشر متعلماً وكان من يجمع بين القراءة والكتابة وبين السباحة والرمي يطلق عليه الكامل ومن هؤلاء سعد بن عبادة .

وبعد أن انتشر الإسلام وجدنا أن القرآن أحدث ثورة في العقلية العربية في ذلك الوقت وكانت من آثاره تلك الحضارة الإسلامية التي تعد من أطول وأقوى الحضارات، ذلك أن القرآن دعا إلى العلم والتعلم فنجد الآيات الخمس الأولى من الوحي تذكر الإنسان مرتين وتذكر العلم والأمر بالقراءة والإشادة بالقلم الذي هو أداة العلم.

يقول تعالى: «**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان مالم يعلم** » العلق/ ١ـ٥.

والإنسان الذي أشاد به القرآن لاقيمة له إلا بالعقل والعقل هو طريقه للعلم والمعرفة والمعرفة قوة مادية ومعنوية ومن يملك العلم يملك القوة والعالم الإسلامي فيه مظاهر كثيرة للتخلف لأنه لايملك العلم.



* مفهوم العلم في الإسلام شامل *

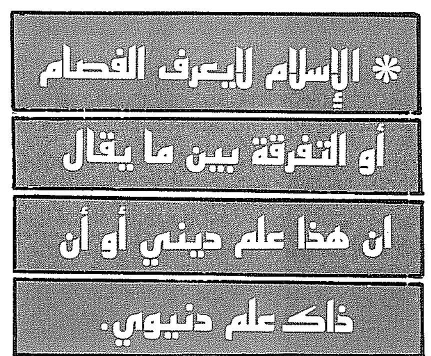
والعلم في المفهوم الإسلامي ليس فقط العلم الديني ولكن مفهومه شامل يتسع ليشمل العلم الديني والعلم الدنيوي، وليس في الإسلام هذا الفصام الذي تشهده حياتنا الحاضرة من تفريق بين علم ديني وعلم دنيوي فالعلم في الإسلام له مفهوم شامل .

يقول تعالى: «**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية/ ١٣. فالتفكير الذي دعا إليه الإسلام هو الطريق إلى أن يستطيع المسلمون أن يمهدوا كل ما خلقه الله في الأرض والسماء لخدمة الإنسان.

كما أن الإسلام وحّد بين الحق والحياة والإنسان من خلال الدعوة للتفكر والتدبر «**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**» فُصّلتْ/ ٥٣ .

فإذا كان العلم يؤدي إلى معرفة الحق فلن يكون هناك تناقض مع الحق الديني أو الحق الإلهي.

فالحق أنعم على الإنسان بالوحي والعقل وقد فهم المسلمون ذلك فقال الأعرابي «آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنني لم أجد محمداً يقول في أمر افعل والعقل يقول لاتفعل ولم

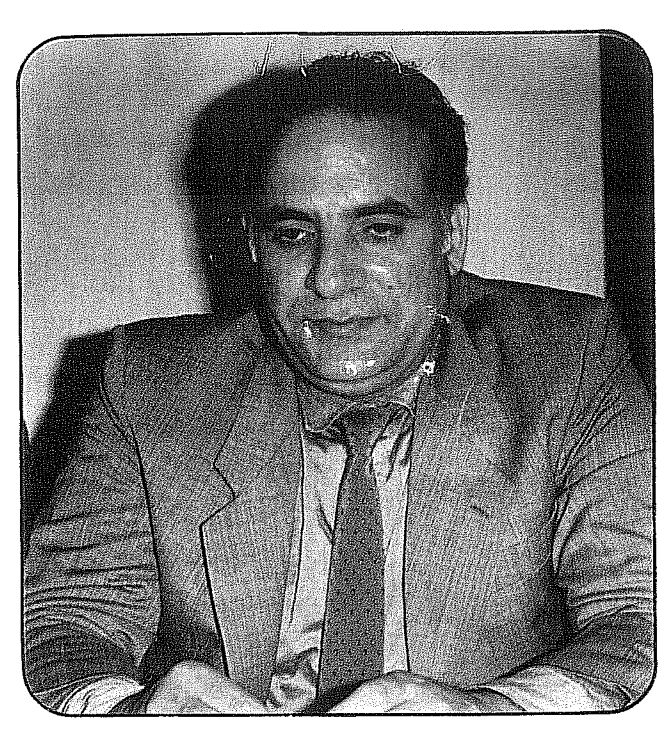


أجده يقول في أمر لاتفعل والعقل يقول افعل».

ومن ثم فالإسلام يرتقي بالعقل ويعظم من شأنه فكان نتيجة ذلك تلك الحضارة الإسلامية التي بناها المسلمون في السابق والتي شهدت المسيرة العلمية بها رقياً وتقدماً على أيدي العلماء المسلمين، حيث كان الإسلام قوياً بأهله واستطاع أن يقاوم التيارات الوافدة بحيث لاتؤثر على مسيرته.

* إستيراد العلم وحده ليس كافياً للتقدم *

وأشار الدكتور/زقزوق إلى مظاهر التخلف الموجودة فقال: «إن التخلف الذي تعاني منه الأمة بكافة أشكاله المادية والدينية والسياسية والعلمية وبصفة عامة التخلف الحضاري ماثل بيننا فعلى مدى قرنين من الزمان أرادت الأمة الاسلامية أن تنهض من كبوتها وبرغم هذا فمازالت هناك



الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

معاناة فنحن نعتمد على غيرنا في مجالات عديدة ـ فالغذاء نستورد ٧٠٪ منه والعلم كذلك نستورده، واستيرادنا للعلم لم يجعلنا نبدع ولم يجعل أفراد الأمة متحضرين، في حين أن الإسلام سلوك حضاري بالدرجة الأولى، والحضارة بأبسط معانيها هي التقدم الروحي والمادي.

هذه الأزمة تفرض سؤالا ملحاً... كيف السبيل؟

هل نوقف استيراد العلم وإفرازاته حتى نكون مؤهلين لذلك؟

البعض ينادي بهذا والبعض يرى البدء باصلاح نظام التعليم، وهذه كلها حلول جُزئية تعتبر مسكنات فالخطط التي توضع هنا وهناك يغيب عنها شيء أساسي وهو النظرة الشاملة للإسلام، فعلينا أن نأخذ الاسلام ونطبقه بمفهومه الشامل .

وانتقل د. حمدي زقزوق بعد ذلك موضحاً مفهوم العلم في الاسلام والفلسفة التي تميز العالم المسلم عن غيره فقال إن العلم في الاسلام يشمل كل ما في الكون من ظواهر وحتى الانسان نفسه، وليست هناك موضوعات من الممكن أن نقول انها للعلم الإسلامي وغيرها للعلم غير الإسلامي فالكون بما فيه مجال للعلم.

ولكن غاية الأمر هي الفلسفة التي ينظر من خلالها العالم الذي يبحث في الحقائق والظواهر فالموضوعات العلمية واحدة ومن الممكن أن يوظفها الإنسان لأغراض معينة، ولكن العالم المسلم ينطلق من الوحدة لامن

التجزئة ويبحث الموضوعات في ترابط تام مع بعضها البعض وفي ترابط مع مبدأ هام وأساسي وهو الله.

ثم أشار الى أن كل مجتمع له فلسفة يبدأ منها ومن هنا يجب أن نعرف من نحن لنعرف من أين نبدأ؟

البعض يرى أن التراث فيه كل شيء، والبعض يرى أن التراث لم يعد فيه شيء هناك حضارة معاصرة ولكن في الواقع نحن في حاجة الى الاثنين، فالرتث يعطينا العناصر التي تبذر فينا الثقة فأسلافنا استطاعوا بناء حضارة يجب علينا الافادة من ذلك، ومن ثم فالعودة للتراث لاتعني نفي الواقع بقدر ما تعني إعادة الثقة بأنفسنا فأعداؤنا يحاولون أن يغرسوا في أنفسنا أننا خلقنا متخلفين قاصرين وأن هناك شعوباً سامية ساذجة لا تقوم ببناء علم أو حضارة، وشعوبا أخرى آريّة هي صاحبة الحضارة...

إذن فلابد من أن نتمكن من علوم العصر نستمد منها المنطق الاسلامي الداعي للترابط المقام بين ظواهر الكون في علاقتها المترابطة بينها وبين الانسان، لتصحيح الوضع واعادة الامور الى نصابها الصحيح.

* أسلمة المعرفة تحتاج إلى الاجتهاد *

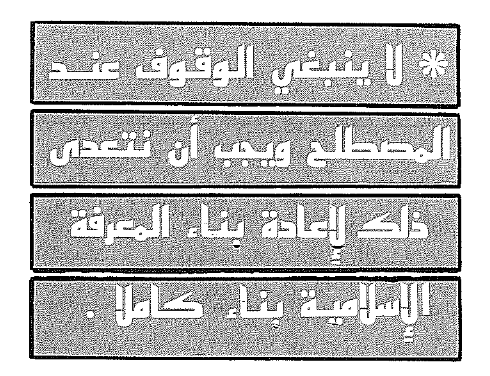
ثم تحدث الدكتور/محمد سليم العوا أستاذ الفقه المقارن بكلية الحقوق جامعة الزقازيق فقال «إن الأمة الاسلامية قد تميزت بخصال هامة:

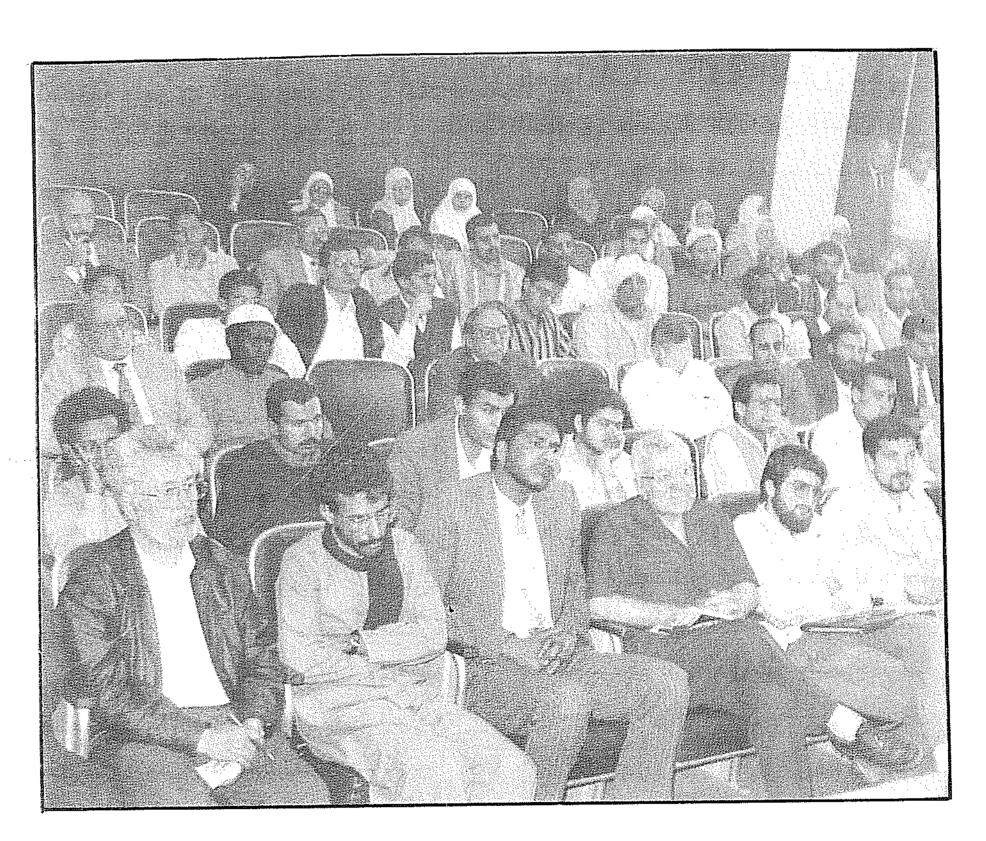
● فنحن أمة تميزت اعتقاديا قبل كل شيء، فتدين بالتوحيد الكامل ولا تعبد إلا الله.

● ونحن أمة تميزت بأنها تلقت آخر كلمات السماء إلى الأرض، وتحولت من الجهل المطبق في (٣٠) عاماً لتطلب العلم من أقصى الأرض وتبدع في هذا العلم وفي عصور الانحطاط والتخلف كنا نأخذ بباقي أطراف العلم ثم حدث ما حدث من انهيار حتى أننا لانستطيع أن نضع قانوناً من عشرين مادة مثلا.

ثم قال إن غاية العلوم كلها سعادة الانسان، والناس فريقان:

● فريق يرى أن هذه المعرفة ينبغي أن تكون خاضعة لمبدأ العبودية لله سبحانه وتعالى فاذا خرج الباحث عن





هـذا الإطار لايكون عالماً إنسـانيـاً إسلامياً.

● وفـريق آخـر استسهلوا الصيـغ وأصبحـوا يصـدرون الكتب ببعض آيات القرآن في الجغرافيا وعلم النفس وغيرها وبقي مضمون الكتاب ركيكا ومترجما. ومن ثم يصبح الاجتهاد في هـذه القضيـة ضـرورة حتمـيـة، والاجتهاد هنا هو الاجتهاد البشري ويعني بذل غاية الجهد النفسي والعقلي والعضـلي لتحقيق مـطالب النـاس وسعـادتهم في الأرض التي يعيشون عليها، وهذا يملي علينا ضرورة إعادة النظر في النظم التي صنعناها لأنفسنا وحكمنـا بهـا حـركتنـا حتى تتحقق مصالحنا وسعادتنا وقبل ذلك لايمكن لأي عمل في إطار إسلامية المعرفة أو في غيرها من الأطر أو المجالات أن يتم أو يقوم.

ووجـوب الاجتهاد لايعني اهـدار القديم وإهماله وتـركه، وإنمـا يعني البدء منه والبناء عليه لأن الذي لاقديم له ليس له جديد، ولأن الذي يغـرس الشجـر بغير أصـولٍ راسخةٍ له لن يكون له غصن مثمر مورف.

فيجب أن نبـدأ مما عنـدنا حتى نصل الى ما نريد، هكذا فعل العالم

حين أراد أن يتقدم ولايزالون يكتبون إلى اليوم أن أصول هذا العلم أو ذاك تعود إلى اليونان أو الرومان وفي هذا كذب وتلفيق، بل هو مجرد وصل للحلقات يريدون أن يقولوا لنا بها أنها لازالت متصلة بالتقدم العلمي في بلادهم، ونحن عندنا الأساس الراسخ والايمان به لايزال يملأ معظم القلوب، وإن كانت بعض العقول تريد أن تتنكر له وتتنصل منه..

لكنه هو الواقع الذي يقف في مواجهة التيار الجارف الذي يريد محو الشخصية الاسلامية.

ومن هنا يجب ألا تقف قضية أسلمة المعرفة عند المصطلح فحسب بل علينا أن نتعدى ذلك لإعادة بناء المعرفة الاسلامية لنبحث عن المعنى والجوهر الذي نصبّ فيه جهودنا العلمية، فنحن ندعو لأن يكون للمسلمين علومهم الإنسانية الذاتية وحتى يتحقق هذا فبإمكان كل مشتغل بالتعليم في كل مراحله أن يعيد تقديم ما لديه من مناهج بصورة تحول المتلقي إلى مفكر لا إلى آلة تخزين واسترجاع، وعلى المعلم أن يعي جيداً أنه صاحب رسالة في هذا الصدد عليه أن يؤديها على الوجه الأكمل.

فالعلم الحديث يمر بتحول في المفاهيم، حيث اختلت القيم، فالروحانية بدأت تحتل مكانا في الغرب بعد أن أهملت في الشرق، والأمة الاسلامية أمة مستهدفة، يستهدفها مخطط هدام لهضمها حقها في أن تعيش آمنة ـ وأن تخطو خطوات ثابتة في مجال الرقي والتقدم.

ثم تحدث الدكتور/أحمد فؤاد باشا أستاذ الفيزياء بجامعة القاهرة فعرض لمفهوم العلم وعلاقته بالتكنولوجيا، ومحاولة تطويع النظريات العلمية لخدمة أهداف أيديولوجية معينة. وأن إسلامية المعرفة هي التي تحقق حياد العلم بعد التجارب المريرة في الدول الغربية ودعا لضرورة التقدم العلمي وتطبيقاته في الدول الاسلامية لكسر حدة التبعية للغرب.

*العلم والتقنية *

يقول الدكتور/فؤاد: إن تقديم تعريف جامع مانع للعلم أمر متعذر، وإن كان يجب أن يفهم في إطار كونه علماً يبحث في الظواهر الطبيعية، ظواهر الكون والحياة بمنهج علمي، ويقوم في مجمله على منهج استقرائي يتتبع الظواهر الجزئية والكشف عن العلاقة التي تربط هذه الظواهر الجزئية ثم التوصل الى قانون عام يربط بين هذه الظواهر. وتعريف العلم لايقف عند هذه النقطة بل يتعداها، فليست مهمة العلم هي التعرف على ما هو كائن من قوانين فقط ولكن الفائدة تكتمل عندما

نستفيد من هذه القوانين ونطبقها لسعادة الانسان والبشرية.

وفي هذا الصدد ينبغي أن نفرّق بين العلم والتقنية ـ (التكنولوجيا) فالتقنية هي الجانب التطبيقي للعلم الذي يؤدي إلى الجانب الصناعي المهم في مدنية الأمم وترقيتها وازدهار حضاراتها، وبما أن التقنية هي تطويع المعرفة العلمية المتاحة للتطبيق العلمي فإننا سنجد أن الانسان البدائي لم تكن عنده معرفة بالمعنى المفهوم اليوم فقط كانت عنده بالفطرة خبرات معرفية كانت مناسبة لأن يصنع آلة بسيطة يستخدمها في عيشه... هذه الآلة البسيطة التي كانت تعد تقنية في ذلك الوقت.

* لايمكن أن نظل نستورد التكنولوجيا بمعزل عن العلم *

إن كشف النظرية العلمية يستغرق وقتا طويلا بطبيعته ،

فنيوتن مثلا عندما اكتشف قانون الجاذبية لم يكتشفه فجأة أو مصادفة بل كان كشفه محصلة تاريخ طويل منذ عصر الحضارة الاسلامية حيث تكلم كثير من علماء المسلمين عن مفهوم الجاذبية وعندما انتقلت الحضارة إلى أوروبا حدثت بعض التجارب ومن تراكم هذه المعارف بالاضافة إلى مقدرة نيوتن العلمية استطاع أن يصل إلى هذا القانون لكن كشف القانون العلمي يستغرق وقتا طويلا... وتطبيقهتكنولوجيا وقتا أطول، وهذا لايعني انفصال العلم عن الجانب التقني أو التكنولوجي.

واستطرد الدكتور/أحمد فؤاد قائلاً : من المناسب أن نصحح مفهوماً شائعاً عن استيراد التكنولوجيا فلا يمكن لأي تكنولوجيا أن تستورد بمعزل عن العلم لأن العلوم الأساسية هي المدخل السليم لأي تقنية وعلوم اليوم هي تكنولوجيا الغد، فإذا استوردنا التكنولوجيا الموجودة في هذا العصر وتعاملنا معها سنظل إلى الأبد نعيش على تكنولوجيا مستوردة إذا لم نتعلم العلوم الأساسية بالاضافة إلى العلوم التقنية، وبدون هذا لن يحدث تقدم علمي لأن العلم والتكنولوجيا بينهما تزاوج وتأثير متبادل، بمعنى أن العلم يؤدي إلى تكنولوجيا وهي تؤدي بدورها إلى التقدم العلمي بمزيد من القياس ودقة في النتائج.

* صراع الأيديولوجيات وانعكاسه على توجيه العلم وحقائقه *

ثم انتقل الدكتور/فؤاد إلى خطورة النزعات الأيديولوجية وأثرها على

توجيه حقائق العلم فيقول: «يظن الكثير أن حقائق العلم غير قابلة للصراع الايديولوجي وفي حقيقة الأمر يتعرض العلم والتقنية المعاصرة للخضوع للنزعات الأيديولوجية والقومية وغيرها من النزعات وتوضيح هذا أمر ضروري لتحديد موضوعية العلم.

وهذا أمر واضح نجده في الجزء الخاص بكشف القانون العلمي بصورة قليلة، كما نجده بصورة أكبر في الجانب التقني، فالعلاقة بين الدول الآن أصبحت علاقة سباق وتنافس في مجال التكنولوجيا والتقدم العلمي سواء بسواء مع التقدم العسكري.

وأورد عدة أمثلة فقال:

- في فترة من الفترات كان عالم الأحياء السوفيتي «لايسنكر» يحصل على دعم السلطة الشيوعية، فكان يوفق بين نظرياته العلمية وبين النظرية الشيوعية كما كان يحجب الكثير من الأبحاث العلمية عن أصدقائه ومواطنيه الذين كانوا على خلاف معه ـ وكانت نتيجة ذلك تأخر هذا الفرع من المعرفة في هذه البلاد.
- في الصين حاولت العقيدة الماوية التدخل لتحديد نوعية الباحث العلمي وأشاع دعاة هذه العقيدة أن الباحث الاشتراكي أقدر في الكشف عن القوانين العلمية المرتبطة بالتقدم.
- أينشتين عندما هرب من الحكم النازي ولجأ إلى السويد ثم أمريكا هوجمت نظرياته في ألمانيا، وقوطعت فيزياء أينشتين لفترة طويلة، وكان ينظر في الاتحاد السوفيتي إلى النسبية على أنها نظرية مثالية...

من هذا نرى أنه متى ارتبط العلم بالتكنولوجيا وارتبطت بالتقنية سيخضع العلم للصراعات الايديولوجية، فعندما تطوّع نتائج العلم لفلسفات سنجد أن الفلسفات في النهاية هي محاولة تطويع العلم لوضع صورة عن العلاقة بين الإنسان والمجتمع والكون.

فعلى سبيل المثال نجد أن النتيجة التي توصل إليها العلم بأن المعادن تتمدد بالحرارة جاءت بالاستقراء «نجد شخصاً آخر يقول: إن الاستقراء هذا يعزى إلى مبدأ أعم منه وهو الحتمية، والحتمية هذه نظرية فلسفية قامت على أساس القوانين العلمية الموجودة في ذلك الوقت، حاول واضعو هذه النظرية أن يجعلوا منها دينا يدين به الناس، وسادت لفترات من الوقت إلى أن جاءت نظرية علمية أخرى وهي اللاتحديد ثم النسبية وغيرها.

من هنا نرى أن ثمة نظريات فلسفية تقوم على القوانين العلمية لأنه متى ارتبط العلم بالفلسفة فلابد من ارتباطه بالنزاعات والصراعات الفلسفية.

* أسلمة العلوم ضرورة حتمية وهذه هي الأسباب *

من هنا يأتي دور أسلمة العلوم لا لإضافة ايديولوجية جديدة إلى العلم وإن كان هذا مسوغا لها - ولكن لكي تعيد للعلم موضوعيته كما كان في عصر الحضارة الإسلامية حيث كانت العلوم إسلامية بطبيعتها ففي صدر الإسلام كان العلماء كلهم يبحثون في كنف الإيمان وفي ظل عقيدة التوحيد وكان العلم كله إسلاميا.

فإذا كنا نطالب بإسلامية العلوم في ذلك الوقت فإن التعبير الأدق هو إعادة أسلمة العلوم حتى تكون المصطلحات في موضعها الطبيعي والمفهوم، ويدعو لإسلامية العلوم كضرورة حتمية ظهور نزعات في الغرب الآن «كالعلموية» التي تقدس العلم وتعتبر أنه القادر على حل كل شيء وتصل به في هذا الصدد إلى مرحلة عالية جدا من القداسة فتقابلها نزعة أخرى قائمة على التكنولوجيا هي التكنوقراطية وهي تعتمد على أن التقنية أفضل من غيرها على صياغة قوانين المجتمع ووصل العلم في هذا الصدد على أساس أنه سيد الحلبة ولاسيد غيره.

يقابل هذا حركات اللاعلمية - فعندما ملّ الناس العلمية المعاصرة ولم يجدوا فيها سعادتهم بدأت تظهر حركات معادية للعلم ترفع شعارات تحذير من خطورة المادية المعاصرة وأنها ستؤدي بالبشرية إلى الهلاك أو كما قال أحد الفلاسفة تحفر قبرا للعالم كله، هذه النزعة اللاعلمية بدأت تدعو وتنادي بالعودة إلى الفطرة والبعد الكامل عن العلم ومشاكله لأنه سيؤدي - من وجهة نظرها - إلى دمار البشرية.

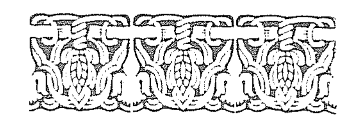
كل هذه مسوغات لأن تأتي إسلامية المعرفة بصورة مدروسة لأن عقيدة التوحيد التي ركز عليها الاسلام تدفع العلم والتقدم العلمي إلى ما هو أكثر مما يعرفه العلم الغربي لأن الإنسان عندما يبحث أو يفكر في ظلها يجد معنى أشمل للعلم ويعرف أن هناك علماً ظاهرياً، وهناك غيبا، ومن ثم يعرف حدود بحثه وتفكيره في ظل هذه العقيدة، يجمع الباحث بين العلم والمعنى والحكمة في آن واحد وبهذا يكون العلم في علاقته مع الأشياء يأخذ الجانب الدنيوي، مربوط الصلة بالله سبحانه وتعالى باعتبار ان الله هو الحق المطلق وهو مصدر كل الحقائق العلمية والجزئية الموجودة في هذا الكون.

وهذا من شأنه أن يشعر العالم بالاطمئنان لأن الظواهر التي يدرسها تتسم بالاضطراد والاستمرارية ولأن قوانين الله شاءت

أن تـؤكـد استمـراريـة الأشيـاء واضـطراد الظواهـر، وهـذا يعـطي البـاحث ثقـة في أن الظواهـر التي يدرسها ظواهر مستمرة وأن التعميم فيها له معنى ومن خلال هذا التعميم يستـطيع أن يتعـرف على قـدرة الله سبحانه وتعالى وهذه النقطة «مفقودة» في كـل الفلسفات المـاديـة لأن هـذه الفلسفات تنطلق من مسلمة تستبعد فيها تدخل الارادة الإلهية وتحاول أن تجد لكل قانون علمي سبباً من خلال ظواهـر الكون، في حـين أن البـاحث والعالم في ظل العقيدة الاسلامية نجد أن هـذه العقيـدة تضفي عليـه من الملكات والأفكار ما يجعله قادراً عـلى البحث باطمئنان في هذه القضايا.

ثم عاد الدكتور فؤاد باشا ليؤكد في نهاية كلمته على أهمية إعادة النظر في الكتب والمقررات التي تدرس وتنقيتها

وأن صياغة إسلامية للعلم والتقنية أمر هام وينبغي أن تستمد هذه النظريـة أصولها من تعاليم الإسلام وتجمع بين الذات وبين روح العلم المعاصر، وأن واقع العلم المعاصر وصل إلى قوانين على وشك أن تعيد النظر في القوانين السائدة، فكما غيرت القوانين العلمية الحديثة قوانين الميكانيكا الكلاسيكية التي سادت لفترة، فإن هناك تغييـراً سيحدث في معظم القوانين الجديدة، وهـذه الصـورة الجـديـدة مهيئـة لاستقبال النظرة الاسلامية للعلوم.



من أعلام الإسلام

خالد بن صفوان

للأستاذ/ مصطفى يعقوب عبدالنبي

لا شكّ أنّ القارىء لأسفار التراث العربي، ولاسيّما تلك التي تُعْنَى بفنون الأدب والبلاغة سوف يلاحظ كَثْرة الاستشهاد بأقوال البلغاء والفصحاء من العرب. ومن الأسماء التي تتردّد بكثرة في مؤلفات التراث العربي يَبْرز اسم خالد بن صفوان الذي يأتي على رأس قائمة أرباب البلاغة والبيان، إلى الحدّ الذي قد يعسر على قارىء التراث أن يقرأ مؤلفاً من مؤلفات التراث الأدبي دون أن يجد اسم خالد بن صفوان ضمن الأعلام الذين يستشهد بأقوالهم البليغة.

وقد يظن القارىء أنّ رجلاً يتمتع بهذا القدر الكبير من البلاغة والفصاحة بحيث لايخلو مؤلفٌ من مؤلفات التراث العربي من الاستشهاد ببلاغته وفصاحته، أنّه صاحب مؤلفاتٍ وتصانيف شأنه شأن الكثيرين من أعلام العرب الذين خلّفوا تراثاً من المؤلفات. والحقيقة أنّ الرجل وإنّ كان عَلَماً من أعلام عصره لم يكتب كتاباً واحِداً، بل كان صاحب حياةٍ عريضةٍ زاخرة في مجال البلاغة والخطابة والدعوة الدينية التي اتخذت شكل التصدي للزنادقة. فقد كاد أن يكون أوحد خطباء عصره فضلاً عن تمتعه بمكانة

سامية لا بين العامّة فحسب ولكن بين ولاة الأمور، أيضاً، فقد كان قريباً من هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي كما كان أيضاً من سُمّار أبي العباس السفاح الخليفة العباسيّ على ما بينهما ـ أيْ الدولة الأموية والدولة العباسية ـ من حروب آلت كما هو معروف إلى زوال الدولة الأموية.

وليس أدلّ على علوِّ قدره وسمو مكانته ـ من أنه كان مادّةً لبعض المؤلفين فقد ألّف البعض كُتباً عنه مثل «كتاب خالد بن صفوان» للمدائني و«كتاب أخبار خالد بن صفوان» للجلّودي .

وبالإضافة إلى هذا كله ـ وهو ما لم يفطن إليه أي من الباحثين ـ أن الرجل كان ذا حس علمي دقيق ـ إنْ صحّ التعبير ـ قد أملاه نظرٌ ثاقبٌ واستنتاجُ صائبٌ ممّا لا نجد له ضريباً بين معاصريه.

مَنْ خالد بن صفوان ؟؟

لم يحفل التاريخ الأدبي كثيراً بإلقاء الضّوء على سيرته وحياته على الرّغم من أنه ـ كما يفهم من بعض الأخبار المتناثرة عنه ـ كان شريفاً في قومه وصاحب عقلية متميزة بين أعلام العرب من معاصريه، ولعلّ أنسب وصفٍ يُطلق عليه في لغتنا المعاصرة أنه كان شخصية بارزة من شخصيات مجتمع عصره. ولقد كان الاهتمام ـ كلّ الاهتمام ـ في المؤلفات التي تعرضت له بالترجمة منصباً على ما قاله من خطب وأقوال بليغة. وعلى سبيل المثال فعندما تَرْجَم له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» فإنه قد أورد موعظته الطويلة لهشام بن عبدالملك والتي استغرقت القسم الأكبر من هذه الترجمة . وعلى أيّ حال فإن إيراد هذه الأقوال وبمثل هذه الكثرة إنما يدلّ على مكانة الرجل بين قومه كرجل حكيم مجرب، بصير بما حوله من أمور بيئته السياسية والاجتماعية والدينية. ـ وهذا هو العجيب في الأمر الطبيعية ، أي في مجال العلوم المتعلقة بطبيعة بيئته ولاسيما علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا.

وللأسف الشديد أنّ هذا الجانب المجهول ـ أي الجانب العلمي ـ لم يلفت نظر الباحثين في التراث العربي، على الرغم من أحقيته ـ أي خالد بن صفوان ـ أن يكون واحداً من شخصيات التراث العلمي عند العرب والذي دل على هذا نثراً وشعراً، ولاسيما ـ وهذا هو الشيء الهام ـ أنّه قال ما قال، ونظم مانظم في وقت مبكر نسبياً أي قبل حركة الترجمة التي سادت في العصر العباسي.

ومعنى هذا أن ما قاله الرجل من علم كان علماً عربياً لُحمة وسدى.

وقد ترجم له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» وممّا جاء في هذه الترجمة: «خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم أبو صفوان التميمي المنقري أحد فصحاء العرب وخطبائهم كان راوية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً وكان يجالس هشام بن عبدالملك وخالداً القسري.

ومن حكمه: إن جعلك الأمير أخا فاجعله سيدا ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة عنه ولا تهاوناً. وقال: «ابذل لصديقك مالك، وللعامة رفدك وحسن محضرك، ولعدوك عدلك، واضنن بدينك وعرضك عن كل أحد. توفي خالد بن صفوان سنة خمس وثلاثين ومائة».

وجاء في «المعارف» لابن قتيبة: «كان لَسناً بيّناخطيباً بخيلا،وهو القائل: أربع لايطمع فيهن عندي: «القرْض والفرْض والعَرْض وأن أسعى مع أحدٍ في حاجة». وقد ذكره كارل بروكلمان ضمن حديثه عن النثر في عصر بني أميّة بقوله «ويعد طليعة فن الأدب الذي نشأ في أواخر عصر الأمويين رجالٌ مثل خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب وخطبائهم.

وكان راوية للأخبار وناقداً للشعر وكان يجالس هشام بن عبدالملك، كما كان بعد ذلك من سُمّار أبي العباس السفاح. وتوفي سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م». ولم تخرج المؤلفات القليلة التي تناولت سيرة وحياة خالد بن صفوان عن هذه الدائرة الضيقة من أخباره. فلم تتحدث هذه المؤلفات ـ مثلاً ـ عن تاريخ مولده أو عن بعض مراحل حياته في البصرة التي نشأ وتوفي بها، ولاسيما أنه قد عاصر أحداثاً على قدرٍ كبير من الأهمية في التاريخ الاسلامي. فقد عاصر ـ على الأقل ـ القسم الأكبر من خلفاء بني أمية وشهد أفول دولتهم وقيام الدولة العباسية على انقاضها. كما عاصر ـ ولا شك ـ الفتن والثورات التي حدثت في عصره كفتنة يزيد بن المهلب التي حدثت في عهد يزيد بن عبدالملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ)، فضلا عن المأساة التي لحقت ببني أميّة على يد أبي العباس السّفاح، والتي فصلتها كتب التاريخ والأدب على نحو معروف ومشهور.

بلاغته وعلمه:

تكاد تُجمع كتب الأدب أنّ خالد بن صفوان كان من أفصح خطباء العرب بلاغة وبيانا، ومن هنا جاءت شهرته التي عكستها بالتالي كتب التراث. فلم

يخلُ كتاب من هذه الكتب من قول أو جملة أقوال له تجرى ـ لبـلاغتها ـ مجرى الأمثال. قيل له: أي إخوانك احب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. ومن أقواله: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ولا تطلبوها إلى غير أهلها ولاتطلبوا مالستم بأهل له فتكونوا للمنع خلقاء. وجاء في «ثمار القلوب» : ومن أبلغ ما قيل في التمثل بالسوس قول خالد بن صفوان: والله لثلاثون ـ يعني بهذا عددا من الابناء ـ في مالي أسرع من السوس في الصوف في الصيف. وقد أثنى الجاحظ عليه كثيراً في غير موضع من «البيان والتبيين» بقوله تارة «وما علمت أنه كان في الخطباء أحدٌ كان أجود خطباً من خالد بن صفوان وشبيب بن شيْبة للذي يحفـظه الناس ويـدور على ألسنتهم. من كلامهما. وما أعلم أنّ آحداً ولّد لهما حرفاً واحداً» . وتارة يقول عنه عندما أفحم برده أحد اليمانيين الذين فخروا عليه في حضور أبي العباس السفاح: «إنه للرّواية الحافظ والمؤلف المجيد فماله نظيرٌ في الدنيا» .

تلك كانت شواهد قليلة من أخرى كثيرة تبيّن حكمـة الرجل وسيـرورة أقـواله فكأنهـا وجيّد الشعـر سواء بسـواء من حيث تمثـل النـاس بهـا والاستشـهاد بروايتها لقوة بيانها وروعة بلاغتها مما جعل من اسم خالد بن صفوان قاسماً مشتركاً في كتب الأدب والتاريخ.

أما علمه فيجري مع بلاغته كفـرسيْ رهان، ونعني بعلمـه هنا ادراكـه للحقائق العلمية المتعلقة بطبيعة بيئته ومايهم هذه البيئة من معرفة مطالع النجوم وهبوب الرياح وبعض المعطيات العلمية الخاصة بالثروات المعدنية. ومن أقواله التي ذكرها المرزوقي في كتابه «الأزمنة والأمكنة»: «قال خالد بن صفوان:

الرياح أربع: الصبا ومهبها ما بين مطلع الشرطين الى القطب. ومهب الشمال ما بين القطب إلى مسقط الشرطين. ومهبّ الدبور ما بين مسقط الشرطين إلى القطب الأسفل. ومهب الجنوب ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين ».

ومن بَيْن أقواله الكثيرة والمبثوثة في ثنايا مؤلفات التراث العربي والتي تنهج هذا النهج من الحكمة والبلاغة والعلم، قد استوقفنا قولٌ له لانحسب أن أحداً قد تنبّه لأهميته البالغة من حيث دلالتـه العلمية ومحتـواه الذي لايحتمل شكّاً في أنّ خالد بن صفوان قد وَضَع يَدَهُ على بعض أسس نظريات التطور. جاء في «الكامل» للمبرد أنّه قيل لخالد بن صفوان: إنك لتكثر أي أنه كثير الخطب فقال: أكثر لضربين: أحدهما: لاتُغْني فيه القلة، والآخر لتمرين

اللسان، فإنّ حبسه يورث العقلة. وإنما اللسان عضوٌ إذا مرنته مَرِن وإذا أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبه، والرِّجْلُ إذا عودت على المشي مشت.

وهذا القول يمثل قيمة علميّة، غير مسبوقة لاشك فيها، لا تعبر عن صدق حدسه أو ثاقب بصيرته فحسب وإنما تعبر كذلك عن نتيجة منطقية أثبتت بعض آراء العلم الحديث صحتها. فالذي قاله خالد بن صفوان متوافق إلى حدٍّ بعيد إنْ لم يكن مطابقا تمام المطابقة لمفهوم التطور العضوي الذي نادى به العالم الفرنسي الشهير جان لامارك (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩م) الذي يقوم على أساس ان التطور يتسبب عن الإهمال والاستعمال وتوارث الصفات المكتسبة أي أنّ العضو الذي يستعمل يقوى ويستمر، والعضو الذي لايستعمل يضمحل.

وقد أشار لامارك في نظريته المعروفة باسمه Lamarckism أنّ العامل الرئيسي لحدوث التطور هو تغير الكائن الحيّ عن طريق استعمال بعض الأعضاء وإهمال الأعضاء الأخرى فتنمو وتقوى الأعضاء التي تستعمل بينما تضمر وتختفي الأعضاء التي تهمل، وهو ما يطلق عليه قانون الاستعمال والإهمال.

ومعنى هذا كله أنّ خالد بن صفوان قد سبق لامارك بنحو ألف عام في هذا الرأي، وأنّ ما قاله خالد بن صفوان لجدير أنْ يسجل في تاريخ العلم في مضمار السبق والريادة.

غيرته على الإسلام في تصدّيه للزنادقة:

تُبَيِّن لنا بعض مصادر التراث العربي أنّ خالد بن صفوان ـ من خلال أقواله ـ كان تقيّاً ورعاً جريئاً في الحقّ غيوراً على دين الله الحنيف، ولعلّ تقواه وغيرته على الدين الحنيف من الأسباب التي جعلته مهاباً في قومه، شريفاً بينهم، مقرباً من ولاة الأمور ولاسيما من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية، على ما بينهما من خلاف وحروب. فقد ذكر له ياقوت الحموي وعظه لهشام بن عبدالملك الخليفة الأموي حتى أبكاه فقيل له: ما أردت بأمير المؤمنين؟ نغصت عليه لذّته وأفسدت مأدبته. فقال لهم: إليكم عنيّ فإني عاهدت الله عز وجل ألا

أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل .

ومن أقواله المأثورة : يابني خلتان إنْ أنت حفظتهما لم تبال ما صنعت بعد، دينك لمعادك ودنياك لمعاشك.

أمّا زهده في الدنيا فيدل عليه قوله: «بِتُّ ليلتي كلها أتمنى، فلبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان، وكوزان وطمران» والطمر، هو الثوب الخلق .

هذا من شأن بلاغة خالد بن صفوان وورعه وتقواه، وإذا كانت البلاغة والورع والتقوى إنما هي صفاتٌ قد اتصف بها كثيرون سواه، ممّن تحفل بذكرهم كتب السير والتراجم والطبقات، إلّا أنّ أهمّ ما يحسب للرجل هو تصديه للزنادقة الذين استشرى أمرهم في العصر العباسي بوجهٍ خاص.

والزندقة في الأصل إنما هي مذهب ديني خاص كاليهودية والنصرانية وإنّ استعمالها في معنى الإلحاد على العموم إنما هو معنى حدث بعد ذلك. ويعلل الدكتور/أحمد أمين انتشارها في العصر العباسي بقوله: «ونحن إذا قارنا بين انتشار هذه الكلمة في العصر العباسي والعصر الأموي وجدنا استعمال الكلمة ـ أي الزندقة ـ في العصر الأموي قليلًا نادراً وفي العصر العباسي فاشياً شائعاً . **والسبب في ذلك**: أنّ الزندقة في بعض معانيها ـ وهو الشك والإلحاد ـ إنما تقترن عادة بالبحث العلمي، وهو في العصر العباسي أبين وأظهر. ذلك أنّ العلم الذي كان شائعاً في العصر الأموي كان العلم الديني من جمعٍ للحديث وتفسير للقرآن الكريم، وهذه لا تثير في النفوس شكوكاً تبعث على الزندقة. **وسَبَبٌ ثانٍ**: هو أنّ بعض الفرْس رأوا أنّ انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق مطالبهم. ومطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها، في سلطتها ولغتها ودينها، فأخذوا يعملون لنشر المانوية والزرادشتية والمزدكيّة ظاهراً إنْ أمكن، وخفية إذا لم يمكن، فكان من ذلك فَشْو الزندقة.

تلك كانت لمحة سريعة عن أصل وكيفية انتشار الزندقة التي أخذ مدلولها يتسع في العصر العباسي ليشمل كل من استظهر نحلة من نحل المجوس واتسعت أكثر من ذلك فشملت كلّ إلحادٍ بالدين الحنيف، وكلّ مجاهرٍ بالفسق والإثم.

وقد تصدّى لهذا التيار والردّ على الملحدين معتزلة ذلك العصر أمثال

واصل بن عطاء وبِشْر بن المعتمر وإبراهيم النظام. فهؤلاء أخذوا يستعرضون ما تقوله الزنادقة ويناقشونهم ويردّون عليهم ويلزمونهم الحجة .

والسؤال الآن: أين صاحبنا من هذا كله؟ وما موقفه حيال ما يراه في عصره من أمور الزندقة والزنادقة؟.

والحقيقة أنّ الرجل لم يأل جهداً في محاربة هذا التيار المارق من الدين والردّ على أقطابهم من الزنادقة والذي كان على رأسهم بشّار بن برد الشاعر المشهور، غير مبالٍ بما قد يلحقه من أذى هجائه، وليس هذا بغريب على رَجُلٍ يعظُ الخلفاء ويذكرهم بنعمة الله عليهم وواجب شكرها ويذكر لهم خبر من سبقوهم من الملوك لئلّا يغتروا بسلطان المُلْك .

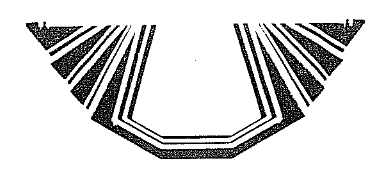
ولعل أهمّ مواقفه في التصدي لما نادى به بشّار بن برد وغيره من الزنادقة **موقفان** :

(الأول) : يَمْدح فيه واصل بن عطاء ـ أحد أقطاب المعتزلة ـ وقد حثّ الناس على قتل بشار بن برد الذي كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة، حيال هجاء بشار له. يقول الجاحظ: «وكان بشارٌ كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشار بالرجعة ويكفّر جميع الأمة، فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه».

وماقاله خالد بن صفوان في ظاهره مدحُ لواصل ابن عطاء وأتباعه بذكره جهادهم في سبيل الله وأنّ باطنه دفاعٌ عن الإسلام ورد على أتباع الملل والنحل الخارجة على الدين.

(الثاني) يهجو فيه بشاراً لجهره بالخروج عن الدين.

رحم الله خالد بن صفوان وأجزل ثوابه بقدر ما ذاد عن دين الله الحنيف...





للواء الركن/ محمود شيت خطاب

قال المعلم لتلاميذه: «في هذا الصف من صفوف مدرستكم، أخ لكم فقير بحاجة إلى بدلة يرتديها في المدرسة، وبحاجة الى ثياب داخلية، والى جلباب يلبسه في الدار وينام فيه، فخذوا من أهلكم نقودا، وسأجمعها منكم غدا، وأدفعها للتلميذ المحتاج اليها، لعله يشتري بما نجمعه منكم ما هو بحاجة اليه من لباس هذا العام».

وكنت يومها في الصف الثالث من المدرسة الابتدائية، في الثامنة من عمري تقريبا، واسم مدرستنا يومئذ: مدرسة باب البيض الابتدائية للبنين، تقع خارج سور مدينة الموصل الذي كان يحيطها من جهة محلة باب البيض، وكان السور في ذلك الموقع محاطا بخندق عميق، والمدرسة على بعد خمسين مترا من الخندق، يفصل بينها وبين الخندق شارع عام، وهو شارع باب سنجار - باب البيض - باب الجديد وسور المدينة مشرف على

الخنـدق، وكان الخنـدق والسور من الوسـائل الدفـاعيـة عن المـوصـل، يستعين بهما الموصليون في الدفاع عن مـدينتهم العريقـة، تجاه من يـريـد الاستيلاء عليها من الأعداء.

ولما عدت الى الدار ظهرا، فاتحت والدتي وجدتي بحديث معلم المدرسة، في جمع النقود للتلميذ الفقير فتسلمت نصف روبيـة من كل واحـدة منهما، وشاركتاني في حزني العميق على ذلك التلميذ المسكين، دون أن تسـألا عن اسمه واسم أبيه وعن أهله وعائلته.

وكان الدوام في المدرسة، دوامين: الأول من الصبح حتى الظهر، والثاني من بعد الظهر بساعتين الى بعد العصر بنحو ساعة. وفي الدوام الأول يتلقى التلاميذ أربعة دروس، مدة كل درس خمسون دقيقة، وبين كل درس والذي يليه استراحة لمدة عشر دقائق. اما في الدوام الثاني، فيتلقى التلاميذ درسين فقط، فيكون عـدد الدروس اليوميـة ستـة دروس، عـدا يـوم الخميس، فيكـون الدوام الى الظهـر، ويتلقـى التلاميذ أربعة دروس .

وفي بداية الدوام الثـاني من ذلك اليوم، بادرت الى المعلم مقدما له روبية واحدة تبرعا للتلميذ الفقير، ووعدتـه أن أجمع له مبلغا إضافيا من المال من والدي في مساء ذلك اليوم .

وقدم والدي الدار قبيل المغرب من السوق، فلما صلى صلاة المغـرب في مسجد المحلة القريب حدثته بقصـة التلميـذ الفقير، وسـألته أن ينفحني بمقدار من النقود .

ولاحظت ان الوالد قد اهتم بالأمر اهتماما زائدا، فسألني: «ما اسم هذا التلميذ، وما اسم أبيه، ومن أي عائلة يكون؟».

وكنت أعرف التلميذ معرفة جيدة، لأنه كان زميلي في المدرسة قبل أكثر من سنة، فذكرت للوالد اسمه واسم أبيه وجده، واسم عائلته أيضا التي يُعرف بها. وأطرق والدي إطراقة طويلة، وهو يردد: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العـظيم... الرزق الحـرام لا يـدوم، والمـاء الحـرام يـغـرق صـاحبـه ولا يرويه» .

وقد تأثرت بالقصـة التي حدثني بهـا والدي، عن والد ذلك التـلميـذ وجده، ولا تزال ترن في أذني وأذكرها كـل يوم، وأحـدث بها بنـاتي وأولاد أخي، ولا أملّ من تكرارها أبدا، وهذه فرصة إذاعتها على أوسع نطاق، لتعمّ فـائدتهـا بـين من يـطلع عليهـا من الناس .

وهذه هي القصة أرويها بإجمال:

حدثني والدي عن والد هذا التلميذ وجدّه، فذكر أن جده كان يتولى منصبا كبيرا من المناصب الإدارية الحكومية في المـوصل الحـدباء، وكـان النـاس يراجعونه لقضاء أشغالهم الرسمية،

فعرف منهم كثيرا، وعرفه منهم كثيرون .

وقد حرص على شراء العقارات، فاشترى كثيرا من القرى القريبة من الموصل، واشترى كثيرا من الخانات والدكاكين والأسواق والحمامات والبيوت داخل الموصل، حتى أصبح من الملّاك الكبار .

وكان ما يشتريه من عقارات وأملاك، لا يدفع ثمنه، أو يدفع ثمنا رمزيا له، أو يقدم ثمنا بخسا لما يشتري، أو يتملك عقارات وأملاك اليتامى والضعفاء والأرامل، أو من لايستطيع حماية أملاكه وعقاراته، أو من مات عنها ولم يترك من يرثها عنه من أهل وولد.

وكنت في زيارة جدِّ هذا التلميذ قبل عشرين سنة خلت، برفقة جدك لوالدتك، كان عالما من علماء الموصل الأعلام، وكنت أدرس العلم في مدرسته، وكان على درجة عظيمة من العلم والتقوى والورع، فزرت جد هذا التلميذ بصحبته، لأمر من أمور الناس، متشفعا أن يأخذ الحق مجراه .

وكان جد هذا التلميذ، في ديوانه الواسع الذي يعجّ بالزائرين، يتباهى بما جمع من عقارات وأملاك، ثم قال: «الآن أصبحت مطمئنا على مستقبل أولادي وأحفادي وأحفاد أحفادي» .

وسمع الحاضرون ادعاء جد هذا التلميذ ودعواه، وسمعوا بثقته العريضة بالمستقبل المنظور وغير المنظور، فقابلوا المدعي ودعواه بالابتسامات العريضة، إلا جدك عليه رحمة الله، فقد قال بأعلى صورته للمدعي: «الماء الحرام يُغرق صاحبه ولا يرويه ، والمستقبل كله بيد الله سبحانه وتعالى».

ولم ينتظر جوابا، إذ نهض من المجلس وانصرف عنه، وكأنه تخلص من حمل ثقيل.

ومضت أيام قليلة على تبجح جد صديقك التلميذ، فاختطف الموت زوجته بسكتة قلبية، وحُمِلتْ الى مثواها الأخير، وهي لـمَّا تبلغ الأربعين من عمرها، في عزّ شبابها وفي أوج قوتها وعطائها .

وحزن زوجها حزنا عظيما عليها، وتقبل عزاء الناس بها، وقد أقبلوا لعزائه زرافات ووحدانا، حتى انقضى العزاء دون أن يزول حزنه عليها، إذ فتح موتها المفاجيء في نفسه جرحا بليغا .

وكان يلهو بوظيفته، ولكن لهوه لم يستمر بها طويلا، فأحيل إلى التقاعد قبل أن يبلغ السن القانونية، وهذا ما لم يكن يحدث في زمانه إلا نادرا، ويبدو أن سلوكه في وظيفته لم يكن مرضيا لدى مَنْ بأيديهم الأمر، فساءت سمعته، وخسر وظيفته .

وفجأة خلا ديوانه من الزائرين،

فأصبح كالصحراء القاحلة في منتصف فصل الصيف، تخلو من الماء والخضراء والوجه الحسن، وابتعد عنه من كان يحسبهم أصدقاء مخلصين له، وتخلى عنه معارفه وجيرانه، لأنه كان يسخر الناس لمصلحته، ولايسخر نفسه لمصالح الناس، كأنه وحده المحور الذي تدور عليه الأرض، دون أن يفقه أنه ليس محورا فردا لا مثيل له، وأمثاله من التافهين كثير.

وكانت شخصيته ترتكز على وظيفته، فلما انهارت وظيفته انهارت شخصيته أيضا، وبقى في واقعه رجلا بلا غد .

وكان لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يملك في داره مكتبة وكتبا، وليست له هواية معينة في عمل معين كالزراعة للاشراف على حديقة المنزل، أوكتربية الماشية لقضاء الوقت في الإشراف على تربيتها أو كتربية الدواجن للإشراف عليها، فأصبح وقته فراغا كله، لا يستفيد منه ولا يفيد .

وكانت زوجته قد تركته وحده، بعد رحيلها الأبدي عن هذه الحياة، فلا أحد في الدار يلهو معه أو يحدثه أو يركن إليه .

وليس معنى ذلك، أنه كان في الدار وحده، بل كان معه أولاده الثلاثة، وكانوا متزوجين، وكل زوجة مشغولة بتربية اولادها وتلبية رغبات زوجها. والزوجات الثلاث تذمرن منه بعد تقاعده، لأنه شغل نفسه بمحاسبتهن على نظافة الدار وتربية الأولاد، فزج نفسه في مشاكل لا أول لها ولا آخر، بالرغم من أن تلك المشاكل لا صلة له بها ولا حق له بإثارتها، بالاضافة الى إلحاحه الشديد في ملاحقتها والاقتتال المستمر بسببها.

وكان بهذه المشاكل المفتعلة دائم الغضب عصبي المزاج، سريع التهور، فأصبح في داره بجانب منها، وأصبح اولاده الثلاثة وزوجات أولاده الثلاث بجانب آخر، كأن الدار أصبحت جبهة حامية من جبهات القتال، هو في طرف منها، وكل أفراد عائلته رجالا ونساء في طرف آخر، والطرفان عدوان بعيدان عن الحب والولاء .

وكان مكروها في خارج داره من معارفه والجيران، لأنه كان لا يحب إلا نفسه، ولم يصنع معروفا لأحد من المعارف والجيران، فأصبح مكروها داخل داره من أولاده وذويه، لأنه كان يتدخل فيما لا يعنيه، ويخلق المشاكل له ولمن حوله، كأنه موكل بإثارة المآسي والأحزان .

وفي ساعة من ساعات غضبه العنيف دون سبب معقول، سقط مغشيا عليه ،فنُقل الى المستشفى الحكومي، حيث تبين أنه أصيب بالشلل، لاصابته بجلطة في الدماغ.

وكان الشلل شاملا، يحدد حركته، ويجمد نشاطه، ويجعله محتاجا للتمريض، في تزويده بالدواء، وفي تقديم الطعام له، وفي إدخاله الحمام، وفي تبديل ملابسه، وفي رفع مخلفاته ولم يكن ذلك سهلا في المستشفى، فلما غادرها أصبح النهوض بخدمته مستحيلا .

وتذمر أهله من بقائه على قيد الحياة، وتمنى أولاده أن يرحل عنهم، ليتخلصوا من خدمته ويستولوا على عقاراته وأملاكه.

بل بلغ به العذاب في حياته، أنه أصبح يتمنى الموت، فهناك تقصير كبير في خدمته واصبح كتلة من العفن من تراكم المخلفات، واصبحت غرفته مصدرا للروائح الكريهة، واصبح ماله الحرام وهو في محنته عليه حراما، شهيته للطعام لا وجود لها، وما يقدم اليه من الطعام لا يكفي، ومن يقدمه له يقدمه مكرها لا بطلا، وليس هناك من يهتم بمأكله ومشربه وملبسه ونظافته، وبدا ما يملكه من زينة الدنيا وبالا عليه، فماله عليه حرام، وبنوه عليه لا معه، ينتظرون رحيله، ويدعون له بالموت.

وبعد أشهر كأنها سنوات، من عذابه بالشلل والاهمال، تنفس أولاده وأهل بيته الصعداء، لأنه لفظ أنفاسه الأخيرة، وقضى نحبه، وأصبح جثة هامدة بلا حراك. واستأجر أولاده بضعة حمالين، فحملوه بالتعاقب على أكتافهم إلى مثواه الأخير، ولم يشهد تشييعه غير أولاده الثلاثة، ولولا كلام الناس، لتخلفوا عن تشييعه أسوة بغيرهم من الناس، إذ لم يُخلِّف وراءه على أحد فضلا يذكر به من أجله ويترحم عليه، واقتصرت تركته على الغصص والأذى والنكبات .

قال والدي مستمرا في حديثه حول جدّ صديقي التلميذ: وقد شهدت تشييع زوجته يوم كان في منصبه، إذ خرج لتشييعها الألوف، ولم يخرج أحد لتشييعه، وشهد مجلس العزاء على زوجته الألوف أيضا، ولم يُقم أولاده عنه موته مجلسا للعزاء، لأنهم قدروا أن الناس سيصدون عن مجلس عزائه صدودا، وتذكرت المثل المشهور القائل: «مات حمار القاضي، فمشى في تشييعه عشرة آلاف، ومات القاضي فلم يشيعه أحد!!».

واختلف أولاده الثلاثة بعد موته على تقسيم تركته، فكانت لهم جولات في المحاكم، أنفقوا خلالها كثيرا من الوقت وكثيرا من الجهد وكثيرا من المال، ثم أصبح اختلافهم حديث الناس، لأن كل واحد منهم كان يريد أن يستأثر بالتركة دون أخويه، وكل واحد منهم كان يريد أن يظلم أخويه، وأخيرا فصلت بينهم المحاكم، بعد أن خسروا كثيرا من وقتهم وجهدهم

ومالهم، وبعد أن أدلوا بأموالهم إلى الحكام .

وأصبحت دار أبيهم الواحدة، متفرقة إلى دور ثلاث، إذ هجروا دار أبيهم، واستقل كل أخ من الاخوة الثلاثة بدار مستقلة، وظلوا إخوة بالاسم والنسب، وهم في الواقع أعداء كأعنف ما يكون الأعداء .

وكانت التركة حراما، وكان الأخوة ورثة لم يتعبوا بجمع المال، ولم يكونوا قد تربوا تربية صالحة ولا كانوا يعفّون عن الحرام، وشتان بين جامع المال بجهده وعرقه، وبين وارث المال بلا عناء .

وبدأ الإخوة يتسابقون في تمزيق ما ورثوه من ثروة أبيهم، وعاشوا بين الطاس والكاس، والحفلات والاحتفالات، والشهرات والدعوات، ويبيعون العقارات والأملاك بثمن بخس دراهم معدودات، فنجحوا في تمزيق ما ورثوه بعد موت أبيهم بثلاث سنوات، وأصبحوا لا يملكون عقارا ولا دارا، ولا يدّخرون درهما ولا دينارا .

ومنذ عشر سنوات خلت، أصبح الإخوة الثلاثة فقراء معدمين، فعمل أحدهم بقالا، وعمل الثاني بعمل مهين، وعمل الثالث بعمل غير شريف، وهذا هو ولد أحد أولئك الاخوة، وهو التلميذ صديقك يستجدي أكفّ الناس، ليكتسي بالملابس أسوة بغيره من التلاميذ؟

وأخرج الوالد كيسه الذي يضم دراهمه من جيبه، وأعطاني روبية واحدة لذلك التلميذ الفقير، والروبية عملة فضية هندية، كانت تستعمل في العراق خلال الأربعينات من القرن الرابع عشر الهجري والعشرينات من القرن العشرين الميلادي، وهي تساوي خمسة وسبعين فلسا بالعملة العراقية الحالية، وكانت البدلة الكاملة للطفل مع قميصها بروبية واحدة، وكان ثمانية كيلوات من لحم الضأن بروبية واحدة، وكانت الروبية الواحدة تعيل عائلة كاملة مؤلفة من ستة أنفار لمدة يومين كاملين.

وتسلمت الروبية من والدي، فقال لي وهو يضعها في يدي: «يابني! إياك والحرام فإنه يورث المصائب والعلل، ويكون وبالا على صاحبه في الدنيا، وعذابا يشقى به في الآخرة. والمال الحرام يُهلك ولا يُغني ، والماء الحرام يغرق ولا يروى وخير لك ان تظلم في مالك من ان تظلم في مال الناس والموت جوعا أفضل لك من أن تأكل حراما.. إن الحرام نار، تحرق الأخضر واليابس في الدنيا، وتدخل النار في الآخرة .

« يابني ، حذار من الحرام، فانه نار في الدنيا والآخرة» .

وكان للقصة التي سمعتها من أبي، وللنصيحة التي ختم بها قصته، ابلغ الأثر في نفسي، فلا أكاد أنسى حرفا منها، وأردد نصها الى مسامع بناتي وزوجي وأهلي جميعا بكل مناسبة وبدون مناسبة ايضا. وكان للقصة والنصيحة أبلغ الأثر في سلوكي، فتجنبت الحرام بشتى أشكاله وألوانه ما استطعت إلى ذلك سبيلا. ولعل تأثري بما سمعت، يعود الى المحيط الذي كنت أعيش بين ظهرانيه، والقدوة الحسنة التي كنت ألمسها في الكبار ممن يحيطون بي رجالا ونساء، وعمري المبكر الذي يسهل التأثير فيه وفي أمثاله من الذكور والاناث، فالطفل يتأثر بالكبير عمرا ـ وبخاصة إذا كان ذلك الكبير هو والده أو كانت والدته، وتأثر الصغير أبلغ حتما من تأثر الكبير، فالنقش في الصغر، كالنقش في الحجر، كما يقول المثل، يبقى عميقا ثابتا لا ينسى أبدا.

وفي صباح اليوم التالي، حملت الروبية التي تسلمتها من والدي، إلى المعلم الذي طلب جمع النقود للتلميذ الفقير، فتسلمها شاكرا في الساعة الأولى من ساعات ذلك اليوم. وكان مجموع تلاميذ الصف الثالث الابتدائي في ذلك العام خمسة عشر تلميذا، في غرفة تتسع لخمسين تلميذا، وكان التلاميذ قليلي العدد، وكان مدير المدرسة والمعلمون يزورون الآباء في دورهم وفي أماكن عملهم وفي المقاهي رجاء حث الآباء على إرسال أولادهم الى المدارس، فكانوا يخفقون تارة وينجحون تارة اخرى في مهمتهم العلمية. وكان أكثر المدرسين من علماء الدين، تلقوا تعليمهم في الجوامع والمساجد، على شيوخ من شيوخ المسلمين، وكانت الجوامع والمساجد مدارس للعلم كما هي أماكن للصلاة، وكما كانت الصلاة عبادة كانوا يعتبرون العلم في تعليمه وتعلمه عبادة أيضا.

وبلغ ما تسلمه المعلم من تلاميذه خمس روبيات، فلم يكن في الصف الثالث غير أربعة تلاميذ من عوائل غنية، أما سائر التلاميذ، فكانوا من عوائل فقيرة، تعيش بما تكسبه يوميا، ولا يفيض من موردها شيء تستطيع التبرع به في مثل تلك المناسبة.

وكانوا فقراء كسبة، ولكنهم لايستجدون، ولا يقبلون معاونة بالمال .

وبعد يومين من جمع التبرعات للتلميذ الفقير، قدم المعلم حاملا رزمة كبيرة من الملابس، سترة وسروالا وقميصا للمدرسة، وقمصانا داخلية وسراويل، وثوبا صيفيا أبيض اللون، وثوبا شتائيا أزرق اللون، وحذاء.

وعجب تلاميذ الصف الثالث بسرعة إعداد الملابس، فذكر المعلم

أنه استصحب التلميذ الفقير إلى داره، ومن هناك رافقتهما زوجته إلى سوق السراي، فاشتروا القماش للبدلة وللثياب، وللالبسة الداخلية، ولقميص البدلة، واشتروا الحذاء، وكل ما اشتروه على ذوق التلميذ ورأيه، ثم عادوا جميعا الى دار المعلم، حيث عكفت زوجه على خياطة الثياب والبدلة والقميص أيضا، فأنجزت كل ذلك تطوعا وحسبة لله، خلال يومين، واصلت خلالهما بالعمل الليل بالنهار .

وكان أكثر المعلمين في تلك الأيام، ينصرفون بكل طاقاتهم الى تعليم تلاميذهم بأمانة وإخلاص، كأنهم يعلمون أبناءهم وأبناء إخوانهم وأخواتهم وأهليهم لا فرق بينهم بين تلميذ بعيد وتلميذ قريب. وكانت حماستهم في حل مشاكل تلاميذهم المادية والمعنوية، لا تقل في حال من الأحوال عن حماستهم في تعليم تلاميذهم، فكانوا يساعدون الفقير، ويسعون لتطبيب المريض، ويعودون المرضى، ويزورون الآباء في المواسم والأعياد، وفي الأفراح والأحزان، ويجيبون على أسئلة التلاميذ داخل الصفوف وخارجها.

وتسألني: لماذا كان المعلم على هذه الدرجة الرفيعة من الحرص، والأمانة، مع التلاميذ، في التعليم وغير التعليم؟!

والجواب: لأنهم كانوا يخافون الله ويرجون ما عنده من أجر، فكانوا يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبهم غيرهم.. كانوا من أصحاب القلوب لا من أصحاب الجيوب .

وعرفتُ قصة ذلك التلميذ الفقير وقصة أبيه وجده، فقد عمل أبوه معينا لبائع من بائعي الخمور في الحانات، وكان لا يعمل في مثل هذا العمل مسلم، إذ لعن الله شاربها وبائعها وحاملها، والذين يعملون في الخمارات غير مسلمين، ولكن صاحبنا آثر العمل في إحدى الحانات، لأنه كان مُدمنا على الخمر، فلا يجد مالاً يشتري به خمراً بعد إفلاسه، وكان يعمل لقاء ما يحتسيه من فضلات المخمورين، ولقاء ما يتناوله منهم من هبات ينفقها على أهله. ولم يبق طويلا في عمله الجديد، إذ داهمه الموت بالسكتة القلبية وهو مخمور، وكان للخمر أثر حاسم في تخريب صحته وتردى عافيته، وتوقف قلبه الى الأبد .

وكان ابنه التلميذ قد وصل الى الصف الخامس من المدرسة الابتدائية، وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره، فاضطر الى ترك المدرسة، ليعمل عاملا في البناء، وينفق أجره اليومي على نفسه وعلى من يعول .

وانقطعت أخباره عني بعد مدة من

الزمن، فسألت عنه البنائين وعمال البناء، فادعى أحد العمال أنه هاجر إلى بغداد مع أهله، ليعمل هناك عاملا في البناء، لأن فرص العمل في بغداد أكثر من فرصها في الموصل .

وكما انقطعت عني أخبار الفتى الذي كان تلميذا، انقطعت أخبار عّميه وأولادهما عني انقطاعا كاملا، فلم يعودوا يظهرون بين الناس، ولم يعد يذكرهم أهل الموصل، ونسيهم الناس نسيانا تاما .

ويبدو أن تلك العائلة الكبيرة التي شغل بها أهل الموصل زمنا طويلا، ينقلون أخبارها السارة والمحزنة، والمشرفة والمخجلة، اختفت عن الأنظار نهائيا، فلا يتحدث متحدث في أمرها، إلا من عرف جدها أو عرف أحد أولاده، وما أقلهم عددا، وأضعفهم مددا .

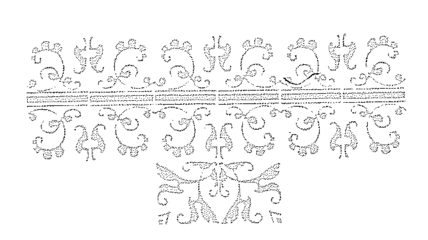
لقد عمل الرزق الحرام عمله، فحرم جامعه من نفعه، ولم يحرمه من ضرره؛ وأودى بحياته مكروها معذبا .

وهرب من أيدي أولاد جامع المال الحرام، فبّددوه بالحرام، وتبخر من بين أيديهم، فخسروا الدنيا والآخرة .

وعانى الأحفاد الجوع والعوز والفاقة، حتى لجأ أحد معلميهم إلى جمع ما يستر عورة أحدهم من لباس .

كان الرزق الحرام أشد وطأة على الجد وأبنائه وأحفاده من ألد الأعداء، فقضى عليهم قضاء مبرما، وابتلاهم بالفاقة والفقر وإعراض الناس عنهم، ثم كتم أنفاسهم واحدا بعد الآخر، فأصبحوا أثرا بعد عين .

فهل من معتبر!؟... أم على قلوب أقفالها !!؟؟





[١]

من منا لا يعرف غوستاف لوبون: الطبيب والمؤرخ الفرنسي الشهير، الذي عني بدراسة الحضارات الشرقية والإسلامية على وجه الخصوص؟ ومن منا لم يقرأ كتابه المعروف (حضارة العرب).

إن معظم صفحات هذا الكتاب تنصب بالنقد والتحليل والتقييم على حضارة الإسلام. وقد نقف عندها في غير هذا المكان، إلا أننا هنا سنتابع بعض شهاداته بصدد ظاهرة انتشار الإسلام ومعاملته لأبناء الأديان والمذاهب الاخرى.

طبعا فإننا لن نجد هنا المادة الغزيرة نفسها التي نجدها في كتاب ككتاب سير توماس ارنولد (الدعوة إلى الإسلام) فهناك ينصب الكتاب كله على هذا الموضوع، أما هنا فإن لوبون يتحدث عن المعطيات الحضارية ولكنه لا يبخل بالتأشير على هذه المسألة او تلك مما يتعلق بالانتشار والمعاملة.

[٢]

يؤكد لوبون في كتابه واحدة من بديهيات الانتشار الاسلامي: حرية الاختيار وتجاوز القسر المذهبي، وهو مثل توماس ارنولد، يغذي تحليله بالعديد من شواهد التاريخ المنتشرة في الزمن والمكان «إن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن. يقول لوبون - فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث ان اعتنق بعض الاقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل».

إن سلوك الفاتحين، وإغراء الإسلام نفسه (الأمر الذي سنتحدث عنه فيما بعد) يكمنان وراء انتماء المغلوبين لهذا الدين، وليس ثمة وزن لما يقال وراء ذلك من قسر أو اكراه «فالاسلام - إذن - لم ينتشر بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل، مازاد معه عدد المسلمين (زمن تأليف الكتاب في القرن الماضي) على خمسين مليون نفس فيها. ويزيد عدد مسلمي الهند يوما فيوما، مع أن الانكليز الذين هم سادة الهند (يومها) يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعا الى الهند لتنصير مسلميها على غير جدوى».

فالدعوة السلمية المدعمة بقوة الاسلام نفسه وبالقدوة الحسنة للفاتحين تلك التي يتوحد فيها المذهب بالسلوك، هي المسالك او القنوات التي قادت ملايين الناس الى هذا الدين وأتاحت له ذلك الانتشار الباهر. وثمة واقعتان تاريخيتان يوردهما لوبون في النص السابق يدحض بهما، الى جانب العوامل آنفة الذكر، مقولة القائلين بانتشار الاسلام بحد السيف.. ففي الهند انتشر الاسلام دون ان يكون العرب سوى «عابري سبيل» بينما عجزت السلطة الاستعمارية التي تملك وسائل القوة والتلسط عن كسب عدد يذكر الى النصرانية رغم محاولاتها المستميتة.. من جهة اخرى ما الذي يدفع اقواما وجماعات غلبت المسلمين انفسهم في عقر ديارهم، كالاتراك والمغول، الى الانتماء لدين المغلوبين؟ انها حالة معاكسة لا أثر فيها مطلقا للقسر العقيدي، فهي إذن حرية الاختيار التي قادت تلك الأقوام والجماعات الى ساحة هذا الدين.

هنالك وقائع تاريخية اخرى ينبه اليها لوبون فان «ما عجز الاغارقة

والفرس والرومان عنه في الشرق، قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه. ومن ذلك أن مصر التي كان يلوح انها اصعب اقطار العالم إذعانا للمؤثرات الأجنبية، نسيت في أقل من قرن واحد مرّ على افتتاح عمرو بن العاص لها، ماضي حضارتها الذي دام نحو سبعة آلاف سنة، معتنقة دينا جديدا ولغة جديدة اعتناقا متينا دام بعد تواري الأمة التي حملتها عليه.. وما كان من تهافت المصريين على نبذ النصرانية ودخولهم في الاسلام يثبت درجة ضعف تأثير النصرانية فيهم. وما وفق العرب له في مصر من التأثير البالغ اتفق لهم مثله في كل بلد خفقت فوقه رايتهم كافريقية وسورية وفارس.. الخ وبلغ نفوذهم بلاد الهند والصين التي لم يزوروها الا تجارا».

حدث هذا ايضا في اماكن اخرى من العالم «فالمسلم أينمامر ترك خلفه دينه، وبلغ عدد أشياع النبي (صلى الله عليه وسلم) ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة، لا فاتحين، كبعض اجزاء الصين وافريقيا الوسطى وروسية.. ولم يسمع ان الضرورة قضت بارسال جيوش مع هؤلاء التجار المبشرين لمساعدتهم. ويتسع نطاق الاسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي نطاق كان، ولم تستأصل شأفة الاسلام بعد أن رسخ في روسية منذ عدة قرون.. والآن يمدّن الاسلام أقوام افريقية حيث يكونون، مظهرا عمله الطيب في كل مكان» .

يمضي لوبون لكي يؤكد حقيقة الانتشار الحر للاسلام،حيث تسقط معها ابتداء خرافة «حدّ السيف» تلك: «لقد عرف الخلفاء الاوائل (رضي الله عنهم) كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم يسلم. واعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتها، مكتفين بأخذهم، في مقابل حمايتها، جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه الى سادتها السابقين من الضرائب».

ونحن نعرف الشعار الذي كان يرفعه الفاتحون في كل زمن أو مكان دون أي تغيير أو تبديل «الاسلام أو القتال أو الجزية».. فها هنا في العرض الأخير يمكن لأي فرد أن يظل على دينه، مواطنا حرا في دولة يحكمها الاسلام، فليس ثمة ما يرغمه ـ وقد أعلن طاعته للدولة لا لعقيدتها عن طريق دفعه الجزية ـ أن يبدل دين آبائه وأجداده.

يخلص لوبون الى القول بأن «ماجهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين و تسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم وفي سهولة اعتناق كثير من الامم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت

وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة حتى بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم» .

ومعروف ان قبول لغة المنتصر والتشبث بها حتى بعد ذهابه، يعني قبول حضارته والعقيدة التي صاغت هذه الحضارة.

[٣]

لقد كان تحرير الانسان من الطاغوت واحدا من أهم أهداف الفتح الاسلامي فكيف يناقض الفاتحون أنفسهم ويرغمون الناس على الانتماء للعقيدة التي حملوها؟

لوبون يقصّ علينا من الوقائع والمعطيات ما يؤكد جدية هذا الهدف الاسلامي الذي حملته حركة الفتوحات، وما يعززه ويوثقه فلا يتبقى معه أي شك أو غموض «فلم يلبث الاسلام ان منّ على جميع الشعوب التي خضعت لسلطانه.. فمنح تلك الشعوب مصالح مشتركة ، وآمالا مشتركة، موجها بذلك جهودها نحو غرض واحد مع أنها كانت ذات مصالح مختلفة قبل ذلك».

ليس هذا فحسب، فلقد عومل المغلوبون كما لم يعامل مغلوب في التاريخ من قبل أو من بعد: احترم المسلمون انتماءهم الديني، وحموه من أي عدوان بل أعانوهم عليه! «لقد كان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي، وترك العرب الناس احرارا في أمور دينهم وأظلوا أساقفة الروم ومطارنة اللاتين (في المشرق) بحمايتهم، فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقا من الدعة والطمأنينة» .

وهو يقف بعض الوقت منبهرا ازاء سلوك الخليفة المنتصر (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) في مدينة القدس ويشير كيف أن هذا السلوك «يثبت لنا مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة، والذي ناقضه ما اقترفه الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون مناقضة تامة.. فلم يرد عمر أن يدخل مدينة القدس معه غير عدد قليل من أصحابه، وطلب من البطرك صفرونيوس أن يرافقه في زيارته لجميع الأماكن المقدسة، واعطى الأهلين الأمان وقطع لهم عهدا باحترام كنائسهم وأموالهم وبتحريم العبادة على المسلمين في بيعهم. ولم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر أقل رفقا من ذلك، فقد عرض على المصريين حرية دينية عامة وعدلا مطلقا واحتراما للأموال وجزية سنوية ثابتة. بدلا من ضرائب قياصرة الروم الباهظة، فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط.. وقد بالغ العرب في الوقوف عند حد هذه الشروط والتقيد بها، فأحبهم المصريون الذين ذاقوا الأمرين من

ظلم عمال قياصرة القسطنطينية النصارى» .

وفي اسبانيا تلقى السكان الهبة الكريمةنفسها: أحسنت معاملتهم، وتركت لهم «أموالهم وكنائسهم وقوانينهم، والمقاضاة الى قضاة منهم، ولم يفرض عليهم سوى جزية سنوية.. فرضي سكان اسبانيا بذلك طائعين وخضعوا للعرب من غير مقاومة» ولقد كان باب المناصب هناك «مفتوحا للنصارى، وكان هؤلاء يستخدمون في الجيش غالبا. ولم يكن توالد المسلمين والنصارى غير قليل.. وأسلم كثير من النصارى ولكنهم لم يسلموا طمعا في كبير شيء، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة. وكانت اسبانيا العربية بلد اوروبا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها فصار عددهم فيه كثيرا جدا» .

وفي صقلية «ترك للنصارى كل مالايمس النظام العام فكان لهم قوانينهم المدنية والدينية، وحكام منهم للفصل في خصوماتهم وجباية الجزية السنوية التي لم تكن تؤخذ من رجال الدين والنساء والأولاد» .

لقد كان من سياسة الفاتحين الثابتة «أن يكونوا على وئام مع الأهلين المغلوبين، وان يحترموا دينهم وشرائعهم، وأن يكتفوا بأخذ جزية طفيفة منهم.. وذلك خلافا لعادة جميع الفاتحين في زمانهم»

كما أنهم «بالغوا في احترام حق التملك.. ومن ذلك ان الاراضي التي أخذت من المغلوبين بالفتح أعيدت اليهم على ان يؤدوا خراجا قلما يزيد على خمس محصولاتها».

وهو يقارن بين اخلاق الفاتحين وغيرهم من الأمم والجماعات فيراها «أرقى كثيرا من اخلاق أمم الارض قاطبة، ولاسيما الأمم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى ولاسيما الامم الأوروبية ايام الحروب الصليبية». وفي مكان آخر يؤكد أن هذا التسامح «لم تصل اليه اوروبا بعدما قامت به في أكثر من الف سنة من الحروب الطاحنة وما عانته من الأحقاد المتأصلة، وما منيت به من المذابح الدامية». ويمضي الى القول بأنه كان يمكن «أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولو فعلوا هذا لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت خاضعة لهم ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سوريا..

ولكن العرب اجتنبوا ذلك. فقد ادرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ماندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة، ان النظم والاديان ليست مما يفرض قسرا، فعاملوا أهل سوريا ومصر واسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم نظمهم وقوانينهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب، اذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقا في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق ان الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحا مثل دينهم»

وما يلبث بعد استعراض المزيد من الشواهد ان يخلص الى النتيجة التالية: «هذه هي شريعة القرآن، لم يرغب الغالبون عنها، ولم يؤلف الغالبون والمغلوبون في بدء الأمر سوى أمة واحدة ذات معتقدات واحدة ومشاعر واحدة ومصالح واحدة، وقد ساد الوفاق جميع نواحي الدولة العربية ما ظل العرب أقوياء محترمين في كل مكان» .

[٤]

وبما ان لوبون يقدم مادة كتابه ـ أساسا ـ من خلال منظور حضاري فانه كثيرا ما يربط بين الفتح وانتشار الاسلام، وبين القيم الحضارية سواء جاءت في سياق الدوافع، أو المعطيات، أو النتائج المتحققة.. ولقد مرت بنا عرضا بعض شواهد هذا الارتباط، لكننا نريد هنا أن نتابع شواهد اخرى نظرا لاهمية المسألة.

فمع انتشار شريعة الاسلام وثباتها في مشارق الارض ومغاربها، انتشرت وثبتت الحضارة الطالعة التي حملها هذا الدين.. خطوة خطوة.. وجنبا الى جنب كان يتحقق هذا اللقاء في الاراضي المفتوحة.. العقيدة، والحضارة التي صنعتها هذه العقيدة «ولم يدر في خلد أحد من الفاتحين الكثيرين الذين قهروا العرب ـ فيما بعد ـ إقامة حضارة مقام حضارة العرب وانتحلوا كلهم دين العرب وفنونهم، واتخذ اكثرهم العربية لغة له. وتقهقرت أمام الاسلام في الهند ديانات قديمة، وجعل الاسلام مصر الفراعنة القديمة التي لم يكن للفرس واليونان والرومان فيها سوى نفوذ قليل، عربية تامة العروبة».

وهو يقارن بين هذه الفتوحات ذات البطانة الحضارية وغيرها فيجد أن لها «طابعا خاصا لا تجد مثله لدى الفاتحين الذين جاءوا بعد العرب، وبيان ذلك أن البرابرة الذين استولوا على العالم الروماني.. وغيرهم، وإن استطاعوا أن يقيموا دولا عظيمة، لم يؤسسوا حضارة، وكانت غاية جهودهم أن يستفيدوا بمشقة من حضارة الأمم التي صهروها. وعكس

ذلك أمر العرب الذين أنشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها، والذين تمكنوا من اجتذاب أمم كثيرة الى دينهم ولغتهم فضلا عن حضارتهم الجديدة. واتصلت بالعرب امم قديمة كشعوب مصر والهنود، واعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم» .

الحق، يقول لوبون «إن هؤلاء القوم الشجعان الذين لبوا دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وغدوا أمة واحدة، اقاموا دولة بلغت ما بلغته دولة الرومان من الاتساع في أقل من قرنين، وان هذه الدولة بدت أكثر دول الأرض هيبة وتمدنا» .

وهو يرى في توقف حركة الفتح الاسلامي عند مشارف فرنسا الغربية نكسة حضارية لأوروبا كلها «فلو وفق موسى بن نصير (في اجتياز القارة) لجعل اوروبا مسلمة ولحقق للأمم المتمدنة وحدتها الدينية، ولأنقذ اوروبا، على ما يحتمل من دور القرون الوسطى الذي لم تعرفه اسبانيا بفضل العرب».

ولم يقتصر الأمر على قرون التألق الحضاري للاسلام، بل انه امتد حتى العصور الحديثة.. ان الاسلام لم يدخل ارضا الا نقلها من حال.. الى حال.. تجاوز بها عصور الهمجية والبربرية والتخلف وقادها الى زمن التحضر واحترام الانسان والتقدم.. لقد «مدن» الاسلام في افريقيا ملايين الناس «وأظهر عمله الطيب في كل مكان هناك».

ولقد محا هذا الدين خلال انتشاره هناك «عبادة الأصنام، والضحايا البشرية وأكل لحوم البشر، وتقدست به حقوق النساء.. وتوطدت روابط الأسرة، وأخذت الزكاة تطهر الاخلاق العامةوترقيها، والشعور بالعدل والاحسان يتخلل القلوب، وأنشأ سادة الشعوب يعرفون أن عليهم واجبات مثل ما على رعاياهم، واستقام المجتمع على أسس ثابتة، هذه بعض الحسنات التي تنتشر في كل مكان ينتشر فيه الاسلام» .

[٥]

ومثل توماس أرنولد، فان غوستاف لوبون لا ينسى أن يشير بكلتا يديه الى الدافع الأساسي لانتشار الاسلام.. الدافع الذي يقف وراء كل الدوافع، يسبقها، يتعاشق معها، يرسم لها الطريق ويقودها الى النجاح.. ذلك هو سر الاسلام نفسه.. تركيبه.. المبادىء والقيم والأهداف الكبرى.. التلاؤم مع الانسان.. مع مطالب البشرية.. الوضوح والتماسك والقوة والقدرة على الجذب والتأثير والاقناع «لقد ساعد وضوح الاسلام البالغ وما أمر به من العدل والاحسان كل المساعدة

على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للاسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فاصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الاسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالاسلام دينا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة» .

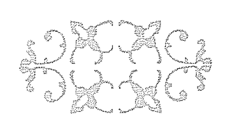
وإذاً لم ينتشر الاسلام بالقوة كما هو معروف، وكما أكد لوبون فيما سبق وأن أشرنا إليه.

ثمة مثل معروف يقول «إنك لاتستطيع أن تعطي الآخرين شيئا لاتملكه». وهكذا فان انتصار الاسلام على الخصم وانتشاره لم يكونا ليتحققا بهذا الاقبال العجيب وبتلك السرعة المدهشة لو كان الفاتحون انفسهم لا يملكون ايمانا بعقيدتهم واهدافهم يتجاوز الاقتناع الى الحماس.. انه ـ في الحق ـ لم يكن قبولا والتزاما فحسب، بل لقد كان وقدة كالجمر في العقل والقلب والروح جعلت الفاتحين يقطعون العالم ركضا وكأن هناك مطلبا ملحا يناديهم فلا يتوانون لحظة عن تلبية النداء.

يقول لوبون « فلما تساوى العرب والروم في الأساليب الحربية، لم يبق شك في تمام النصر لهم، لاستعداد كل جندي عربي (مسلم) لبذل نفسه في سبيل دينه، ولتواري كل اخلاص وحماسة وايمان في جيش الروم منذ زمن طويل» .

وما يقال عن الروم يمكن أن يقال عن كل الأقوام والقيادات والسلطات والدول والامبراطوريات التي لوى الفاتحون أذرعها وهزموها.

لأنهم كانوا في كل الأحوال الأشد حمية وغيرة، والأكثر حماسة واخلاصا، والأعمق ايمانا بهذا الدين الذي منحهم الكثير فكانوا اوفياء له، ومنحوه بدورهم ما يستحقه من البذل والعطاء.





تأليف : د/ عبد العليم عبد الرحمن خضر

عرض وتحليل د/ كارم السيد غنيم

يمثل كتاب (الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن) أولى حلقات سلسلة (العلم والقرآن) التي تصدرها الدار السعودية للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ، وقد ظهر في طبعته الاولى سنة ١٩٨٤م ، وهو يقع في ٢٢٢ صفحة (١٧ × ٢٨سم) ، ومزود بصور ملونة لتوضيح المسائل المختلفة الواردة به ، وبه عدد من الحواشى ، ثم قائمة بعدد من المراجع والمصادر، في نهايته أتبعت بفهرس للموضوعات . وللتعريف بالمؤلف نقول انه أحد الاساتذة المتخصصين في علم الجغرافيا ، وله عدد من المؤلَّفات في هذا المجال ، آثر أن يقدمها من المنظور الاسلامى ـ والكتاب الحالى واحد منها(الإثبات التوافقية بين معطيات العلم الحديث وبين ما أشار الية القرآن). بدأ كتابه بمقدمة قيِّمة تلتها ستة فصول أكبرها حجماً هو آخرها في مقدمة الكتاب يوضح صاحبه رفعة عمله وسموّ هدفه حيث يقول: وعلماء الجغرافيا من المسلمين يرون في إشارات القرآن الكريم التي تفسر الظاهرات الجغرافية ـ علاوةً على معانيها الظاهرة ـ معاني آخر تحتضن أسراراً من العلم يكشف

الله سبحانه وتعالى لهم عنها شيئا فشيئا والباحث الجغرافي ، إذا استهدف ببحثه الكشف عن عظمة الله في الآفاق ، وحاول التوصل الى سرّ من أسرار حركة النجوم أو توازن الأرض أو وظيفة الجبال أو العلاقة بين الطواف حول الكعبة وطواف الكواكب حول مركز لها هو الشمس ... انما هو حينئذ يكون أكبر عابد وأكرم قائم وراكع وساجد .. وانني ليشرفني أن أكون من الذين يثبتون أن العلم يلتقى مع القرآن لقاء الماء يدفع به السيل في صدر المحيط فيذوب فيه ويصبح بعض مائه . ثم انتقل مؤلفنا الى الكلام عن المنهج الإيمانى للدراسات الجغرافية وهو الذي يقوم عنده على أسس أو جوانب هى :

(١) البحث عن مظاهر القدرة الإلهية في زحزحة القارات وغرس جذور الجبال في طبقة السيما Sima اللينة حتى لا تميد الارض .. والبحث عن آيات الله في الآفاق في الليل والنهار ، في رفع السموات بغير عمدٍ يراها البشر .. في توزيع القطع المتجاورات على سطح الارض .. في توزيع البشر على القارات في الكرة الارضية ... الخ .

(٢) كشف الطريق الى حقيقة الوجود ، والرّد على الملحدين والماديين وعبدة الطبيعة وازالة غشاوة الجهل والعناد عن عيون المنكرين للبعث والحساب ووحدانية الله .

(٣) اثبات أن القرآن الكريم يمثل الكل المطلق ، وأن العلم يمثل الجزئية المحدودة ، «**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**» (الإسراء/ ٨٥) .

(٤) اثبات أن منهجية القرآن ترسم الطريق لمنهجية البحث العلمى الجغرافي ملَخصةً في قول الله تعالى : «**قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ..» (يونس/ ١٠١) .

(٥) اثبات صدق الرسول الأمين محمد عليه الصلاة والسلام من خلال إبراز الإعجاز العلمي في مجال الظواهر الجغرافية التي نطق بها الرسول الأمي الذي لم يطلّع على علوم الهيئة والبلدان وغيرها ، وانما كان ما يقوله وحياً من السماء .

(٦) اثبات سبق القرآن الكريم لكل ما وصلت اليه المدرسة الألمانية من نظريات جغرافية ، وما حققته المدرسة الأمريكية من اتجاهات ، وما أضافته المدرسة الفرنسية من تطبيقات في المجال الجغرافي .

(٧) اثبات أن الله سبحانه وتعالى يجْرِي ارادته في الكون وفق القانون الإلهى الأعظم للكون ، والذى اكتشفت علومنا الحديثة في القرن العشرين جزئيات بسيطة منه .

(٨) إيضاح المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية الجغرافية في توسيع

مدلولات الآيات القرآنية وتعميقها ، دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية معينة .

(٩) إيضاح أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يحثان على طلب العلم والانتفاع به .

بعد ذلك يعرض المؤلف الخطوات التي عزم على اتباعها عند تطبيق هذا المنهج في معالجته لأية ظاهرة جغرافية وردت في القرآن ، وتتلخص هذه الخطوات فيما يلي :

(أ) عرض مفاهيم من القرآن تشير الى الظاهرة .
(ب) صياغة آراء المفسرين للآيات القرآنية المشيرة الى الظاهرة .
(ج) صياغة المفاهيم القرآنية المفسرة في شكل قواعد وقوانين جزئية .
(د) التطبيق الجغرافي لما ورد في القوانين المصاغة من المفاهيم القرآنية المفسرة .
(هـ) استنباط التوافقية بين المنهج العلمي ومنهج القرآن وأسلوبه في معالجة الظواهر الجغرافية ، مع إيضاح سبق القرآن وشمولية إشارته وصدقها المطلق ، وصلاحية الانتفاع بها للإنسان البدائي ولإنسان عصر الفضاء ومن بعده على السواء .

يأتي الفصل الأول في الكتاب في موضوع **(الامطار في العلم والقرآن)** .

يسوق المؤلف في أولى صفحات هذا الفصل أربعة نصوص قرآنية نوردها هنا لتكرار ذكرها في جل مادة الكتاب : «**ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من بردٍ فيصيب به منْ يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**» (النور/٤٣) ، «**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء**» (الروم/٤٨) ، «**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**» (الحجر/٢٢ ، «**وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا**» (المرسلات/٢٧) . يسوق المؤلف كلام مفسّر واحد بشأن الآية الأولى على الرغم من أنه يعبر عنه بقوله : (يقول أصحاب الفضيلة المفسرون ..) !! وهكذا فعل أيضا في الآيات الثلاث الأخرى ، وبعدها يخرج بالمفاهيم الآتية :

(١) النوع الأول من السحب هو النوع الرُّكامي الذي يشبه الجبال ..
(٢) النوع الثاني هو النوع البساطي ، ودور الرياح فيه أن تشكله في هيئة تنزل مطراً فيما بعد .

(٣) الرياح لواقح للسحب ويتوقف نزول المطر على هذا التلقيح .

(٤) إننــا ـ نحن البشر ـ لا نملك تخزين مــاء المطر مهمــا تجمع من علمــاء ومهندسين وعمال ومواد ..

(٥) المطر التضاريسي ينزل بتسخير الله للجبال الشاهقة التي تعمل على تبريد السحب وانزاله .

وبعد هذا يقوم المؤلف بعمل تطبيق جغرافي للمفاهيم السابقة ، فيتعرض لنقاط هامة كانت أولاها السحب الركامية ، فساق في كلامه بعضاً من نظريات (ولسون) و(سمسون)، وينتقل الى النقطة الثانية وهى دورالرياح في تكوين السحاب البساطى السطحى المدود ، ثم النقطة الثالثة وهى عملية تلقيح الرياح للسحب ، فالنقطة الرابعة وهى عجز البشر عن تخزين مياه المطر ، ثم كانت النقطة الأخيرة في دور الجبال في إنزال المطر التضاريسي ، حيث تعمل كـ«مصيدة للأمطار» بعد أن انتهى مؤلفنا من ذلك التطبيق الجغرافى لمفاهيم الآيات اتجه الى اثبات التوافقية بين منهج القرآن في عرض ظاهرة الأمطار وبين معطيات العلم الحديث فيها ، ثم ختم الفصل بإشارة الى صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي تلقاّها وحياً منذ أكثر من ١٤٠٠ عام .

حينما ننتقل الى الفصل الثانى (ظاهرة التوتر السطحي بين العلم والقرآن) ،في اولى صفحات الفصل . تتلخص ظاهرة التوتر السطحي (Surface Tenrsion في: أن كلًّا من الماء العـذب والماء المـالح ـ نظراً لا ختــلاف كثافتيهمــا ـ لايتحدان ولا يختلطان ، وانما تنزع جزيئات الماء في كل منهما الى الانكماش والتجاذب محدثةً توتراً في سطح كلٍّ منهما ، الأمر الذي يكون غلالة شفافة فاصلة بين الكتلتين لا يمكن رؤيتها ، وبذلك لا تبغى أحداهما على الأخرى بالاختلاط . فماذا قال القرآن المعجز في ذلك قبل ١٤٠٠ عام ، يقول الله تبارك وتعالى «**وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجراً محجوراً**» (الفرقان/ ٥٣) «**مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان**» (الرحمن/ ١٩و٢٠) . هنا يسوق مؤلفنا قول الاستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآيات ، وبعده يعرض الافكار المستخلصة من التفسير ، ويتبع ذلك بالتطبيق الجغرافي لهذه المفاهيم .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى ظاهرة جديدة دون أن يذكر لها عنوانا يتناسب وجلال موضوعها ، تلك هى (ظاهرة الامـواج السحيقة) ، ويتخـذ الآية القـرآنية «**أو كظلمات في بحر لجّى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب**» (النور/ ٤٠) منطلقاً لشرح هذه الظاهرة ، يستعرض في تفســير هذه الآيــة أقوال ابن كثـير

وطنطاوى جوهري ، ثم يخلص الى الافكار :

(١) إن ثمة أمواجاً سحيقة في الأعماق المظلمة توجد تحت الأمواج السطحية التي نعرفها .
(٢) ان هذه الامواج لا توجد في أى بحر ، وانما يلزم أن يكون البحر لجيا .
(٣) ان مناخ الاقليم هناك ملبد دائما بالسحب والغيوم التي تحجب الضوء .
الظاهرة الرابعة التي تكلم المؤلف فيها هي «الجبال» أورد المؤلف في ظاهرة الجبال آيات قرآنية منها : «**ألَمْ نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا**» (النبأ/ ٦و٧) وكذا الآيات : الحجر/ ١٩ ، لقمان/ ١٠ . وكما هى الطريقة التي رسمها لنفسه في معالجة هذه الظواهر يسوق أقوال المفسرين ثم يستخرج الافكار من هذه الأقوال ، فيلخصها في :-(١) أن وظيفة الجبال في تثبيت الأرض تشبه وظيفة الأوتاد في تثبيت الخيمة . (٢) وان هناك نوعاً من الجبال لا يخرج من باطن الارض وانما ألقى من فوق سطحها . (٣) يرسو نوع من الجبال عند شواطىء البحار القديمة، كما ترسو السفن على الرصيف.

قام المؤلف بسلخ الظاهرة الخامسة وعَرضَها في فصل مستقل هو الفصل الثالث ، ولا ندري السبب في هذه التجزئة !! يبدأ الفصل بالآية الكريمة «**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**» (الانبياء/٣٢) ، ويرى المفسرون أن الآية الكريمة تشير الى غلاف الأرض الجوي ، وتصفه بأنه سقف محفوظ من الانفلات والتسرب .. وفيه توجد القبة الزرقاء وهى ظاهرة ضوئية يزيد ارتفاعها على ٢٠٠ ك .م . من اجمالى ارتفاع الغلاف الجوى الذي يبلغ ١٠٠٠ ك .م ، ثم يتحدث عن عجز الامكانات البشرية عن تصميم سقف من أية مادة تحيط بالأرض ويعرض بعض محتويات هذا السقف وهي : غازات الاكسجين وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين ، وكذلك السحب ومنها تنزل الامطار ، والاصوات السارية ، وضوء النهار وبعده يتكلم عن القبة الزقاء ، ثم نجده يعود الى مسألة السقف المحفوظ ولكن في هذه المرة يعالج عملية إمساكه من السقوط أو الانفلات ويسشير الى أهمية وعظمة السقف المحفوظ ودوره في تحطيم وتدمير النيازك ، ومنها نيزك تانجوسكا سنة ١٩٤٦ .. لكن اذا حل غضب الله بقوم أبطل مفعول هذا الغلاف (أو السقف) فتنزل النيازك الرهيبة الى الأرض ومنها ما يكون في مثل حجم الجبل ـ فيصيب بها من يشاء كما أن المجال المغناطسي يعتبر من أسرار حفظ السقف على ما هو عليه ، وبعده تطرق الكلام عن الأشعة الكونية وخطورتها ودور السقف المحفوظ في احتجازها . واذا كان المؤلف قد تكلّم على عجل

عن النيازك فهو الآن يعود ليبسط القول فيها ، فيسوق عددا من الآيات القرآنية المشيرة اليها مثل قول اللهتعالى «**إلَّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**» (الصافات/ ١٠) وكذا الآيات: الجن/ ٩، الحجر :/ ١٨، الملك/ ٥ ، الشعراء/ ١٧٣ ، هود/ ٨٢و٨٣، الذاريات/ ٣٣و٣٤، الحجر ٧٤ ،الفيل/ ١ ـ ٥ ، القمر/ ٣٤ .

كان موضوع الفصل الرابع هو (المادة الكونية الاولى بين العلم والقرآن) ، وصدَّره المؤلف بصورة لسحابة سديمية دخانية بين المجرات يحتمل أن تكون من بقايا السحابة الكونية الاولى ، وقد رتبه صاحبه في أربعة جوانب:

أولا : معطيات القرآن الكريم .

ثانيا : آراء المفسرين .

ثالثا: معطيات العلم ، وأخيرا : مدى التوافقية بين القرآن والعلم في معالجة الظاهرة موضوع البحث . بالنسبة للآيات القرآنية فان الله سبحانه يقول : «**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**» (فصلت/ ١١) . ثم انتخب المؤلف اثنين فقط من المفسرين أورد بعضاً من كلامهما في تفسير هذه الآية ، وبعد ذلك تكلم عن معطيات العلم الحديث في هذه المسألة ، وكان مما قاله : كان الكون قبل أن يصدر الأمر الإلهى .. كنْ .. سحابة من مادة دخانية شديدة التخلخل ، وخفيفة الوزن والكثافة في صورة قريبة من الفراغ التام ، ولم يكن الضوء قد انبعث بعد ، ولذلك كانت السحابة الأولى معتمة ، لا نجوم ولا كواكب ولا شموس ولا أقمار ولا أرض ولا هواء ، منذ حوالى عشرة آلاف مليون سنة ـ هكذا نقل المؤلف عن المصادر العلمية الحديثة !! ويتابع مؤلفنا حديثه عن المادة الكونية فيقول : وصدر الأمر ـ حينما شاءت إرادته للكون أن يكون فبدأت ذرات الدخان في السحابة الكونية الأولى تتحرك ، وفق القانون العام الإلهى الأعظم للكون .. ثم أخذت تتجمع فبدأت كثافتها تزداد في أماكن .. وبدأ الظلام ينقشع تبعاً لذلك في أماكن كونية أخرى .. وبزغ نور خافت باهت في صفحة الوجود .. ذلك النور يعتبره العلماء بداية تكوّن النجوم والعُقَد الوضّاءة المتكونة من الغاز المتكثف .. وهي بمثابة «النوى» الذي تراكمت حوله مواد النجوم بالتجمع .. وبطبيعة الحال لم يبق من السحابة السديمية الأولى شيء ، أما مادتها الأولى فهي التي نراها اليوم في صورة أخرى ، هي الكواكب والأفلاك والنجوم والمجرات والاكوان السحيقة البعد عن كوكبنا ومجرتنا .. ومواقع النجوم وسياحتها في أفلاكها أمور واردة في القرآن ، حيث توجد المعادلة الإلهية التي تحفظ

على الكون استمرار وجوده ، تلك هى معادلة التوازن بين (قوة الانفلات) وبين (قوة الجاذبية الذاتية) .

في حديثه عن نهاية الكون ، يقدم مؤلفنا بعض الآيات القرآنية : الأنبياء/١٠٤ ، الحاقة/١٦ النبأ/ ١٩ التكوير/١١ ، الانفطار/١ ـ ٣ ،....ثم يقول : هذه بعض النصوص القرآنية التي تشير الى الاحداث الكونية يوم يأذن الله بالنهاية ، وهى آيات تشير الى هول ذلك اليوم العظيم ... حيث ينفرط عقد هذا الكون المنظور ، وتختل روابطه وضوابطه التي تمسك به في هذا النظام البديع الدقيق ، وتتناثر أجزاؤه بعد انفلاتها من قيد الناموس ، ويعود كل شيء الى دخان ... فكما كان البدء دخانا .. تكون النهاية دخانا .. الذي رفع السماء بغير عمد سيبطل مفعول الجاذبية بين الأجرام السماوية فيصطدم كل كوكب بغيره وتنسحق المادة الكونية فتستحيل غبارا ودخانا ، ويبقى وجه الله الكريم .

نأتي إلى الفصل الخامس وهو في ظاهرة تمدد الكون، وهو فصل قصير. ولقد استنتج العلماء أخيرا من دراسة ظاهرة «دوبلر» (الانحراف الأحمر) ان كل المجرات تبتعد عن بعضها بسرعة تتناسب مع أبعادها عنا وعن بعضها البعض ، وظهر ان المجرات البعيدة تبتعد عنا بأسرع مما تبتعد به المجرات القريبة .. وقالوا :.. انه اذا تضاعف بعد مجرة ما فان معدل ابتعادها يتضاعف أيضا ، وبمعنى أدق يمكن صياغة ذلك في الآتي : كل زيادة في المسافة تبلغ ميلون بارسك (البارسك = ١٩٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ميل) تقابلها زيادة في سرعة الابتعاد تبلغ نحو ١٠٠ ميل/ ثانية ، ومثال ذلك المجرة التي يبلغ بعدها ١٠ ملايين بارسك تبتعد عنا بسرعة ١٠٠٠ ميل/ ثانية .. وأسرع معدل للابتعاد حتى الآن أمكن قياسه هو ٤٠٠٠٠ ميل/ ثانية .. كما أضاف منظار (بالومار) ذي المائتي بوصة ، معلومة للراصدين من العلماء مؤداها ان المجرات كانت جميعها مكدسة في منطقة معينة من الفضاء منذ نحو ٧ آلاف مليون سنة .. الكون إذن يتّسع ويتمدد ، إنه في اتّساع دائم ، فانظر الى قول الله تعالى «**والسماء بنيناها بأيد وإناً لموسعون**» (الذاريات/٤٧) ... بعد ذلك عرج المؤلف على حكمة الله في وضع قانون تمدد الكون ، وأن هناك توازناً بين خلق المادة المستمر وبين اتساع الكون وتمدده .

ختاماً ، فالفصل رائع ممتع ، مترابط الجوانب سهل العبارة عظيم المضمون. هـذا والقانون الإلهي العام الأعظم للكون ، كان موضوع الفصل السادس والأخير في هذا الكتاب ، وهو أضخم الفصول وأكثرها اتساعا يحتوي على ١٣ مبحثا (أو جانبا) .

ونستطيع أن نستخرج ٩ ظواهر أو مسائل عرضت وشرحت في هذا الفصل

كله : (١) البرق : وقد تعّرض له المؤلف في ص ١١٤ ، (٢) الطواف والحركة الانحنائية : ص ١١٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، (٣) دورة الماء في الطبيعة : ص ١٢١ ، (٤) سنن الله الكونية في القانون الإلهي الأعظم العام : ص ١٢٠ ـ ١٢٣ ، (٥) تطبيقات لقانون التوازن في الكون : ص ١٢٥ ـ ١٣٤ ، (٦) سباحة الاجرام السماوية : ص ١٣٥ ـ ١٣٩ ، (٧) السقف المرفوع وامساك السماء : ص ١٤٠ ـ ١٤٨ ، (٨) البروج والضوء الثاقب : ص ١٥٢ ـ ١٥٦، ١٧٤ ، ١٧٦ ، (٩) عوالم المجرات وبحر الفضاء الكوني وتزيين السماء : ص ١٦٨ ـ ٢١٦ .

وبعد ، فلقد وجب علينا في نهاية هذا التحليل أن نشيد بالجهد الكبير الذي بذله مؤلّف الكتاب في سبيل تحقيق الهدف الذي قصده من وراء تأليفه ، ونرى أنه قد وُفّقَ الى حد كبير ، كما نشعر ـ بعد أن طوّفْناَ معه أرجاء الكون ـ بمدى المعاناة التي لقيها حتى أحكم تنفيذ الخطة الموضحة في مقدمة الكتاب ، لذا ندعوا الله بحسن الثواب جزاء ما قدَّم من إسهامٍ كبير في مجال الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ، وهو مجال جدّ خطير في عصرنا الحالى ، عصر الذرة والاقمار الصناعية وارتياد الفضاء . بيد أنه من الواجب أيضا أن ننبه الى أمورٍ لولاها لبلغ الكتاب مبلَغاً أعظم وأخطر ممَّا هو عليه الآن ، من هذه الأمور وقوع بعض الأغلاط المطبعية ، وسوء توزيع العناوين ، والتجزئة المتعمدة لبعض الفصول ، واختلاق بعض العناوين لعزل الكلام المنساب عن بعضه وعمل مباحث منه ، وبتْر بعض النصوص القرآنية وسقوط ألفاظ منها وعدم الإشارة الى مواقع بعضها في المصحف (انظر صفحات ٥٩ ، ٧٦) . كما نرى مساحات كثيرة في الصفحات تُركت بيضاء ، سواء وقع ذلك في الهوامش المحيطة بالكلام أو حتى بين السطور في بعض الفصول (انظر على سبيل المثال : صفحات ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٦ ، .... الخ) ، كذلك وقوع التكرار لبعض المفاهيم والنتائج وطرحها في مواضع عدة (أنظر مثلا صفحات ٤٦ ، ٦٤ ، ٩٥، ٩٦، ٩٧، والفصل الأخير كله) كما جاءت الصور الملونة : التي زودّ المؤلف بها كتابه ، رائعة الا أنها تفتقد روح الإقناع بما تحتوى من أشكال ، فلا الأماكن التي أخذت لها هذه الصور قد حددّت ، ولا الإشارة العلمية الواضحة قد ألحقت بصورةٍ من هذه الصور ، وكثير منها مبهْم غير واضح للقارىء العادي . وعليه فإننا نوصي بمراجعة الكتاب مراجعة علمية دقيقة والالتفات الى مانوهنا اليه وأوضحناه، سواء في ثنايا التحليل أو في السطور القليلة السابقة ، وذلك عند النيَّة لإعادة طباعته مرة قادمة ان شاء الله . وعلى الله قصد السبيل .

.. وماذا بعد الانتفاضة ؟

كتاب لمؤلفه عبدالرحمن علي فلاح أصدرته الجمعية الاسلامية بالمحرق بالبحرين، ويقع هذا الكتاب في ٦٦ صفحة من الحجم المتوسط وقامت بطباعته المؤسسة العربية للطباعة والنشر ويخصص ريع هذا الكتاب للانتفاضة الفلسطينية.

والكتاب عبارة عن خواطر يضعها المؤلف بين يدي القارىء لتساهم بشكل أو بآخر ـ كما يقول ـ في تحديد معالم الصورة وتجسيد الذي يحدث على الأرض المباركة في فلسطين.
وهذه الخواطر تتضمن عدة حقائق :

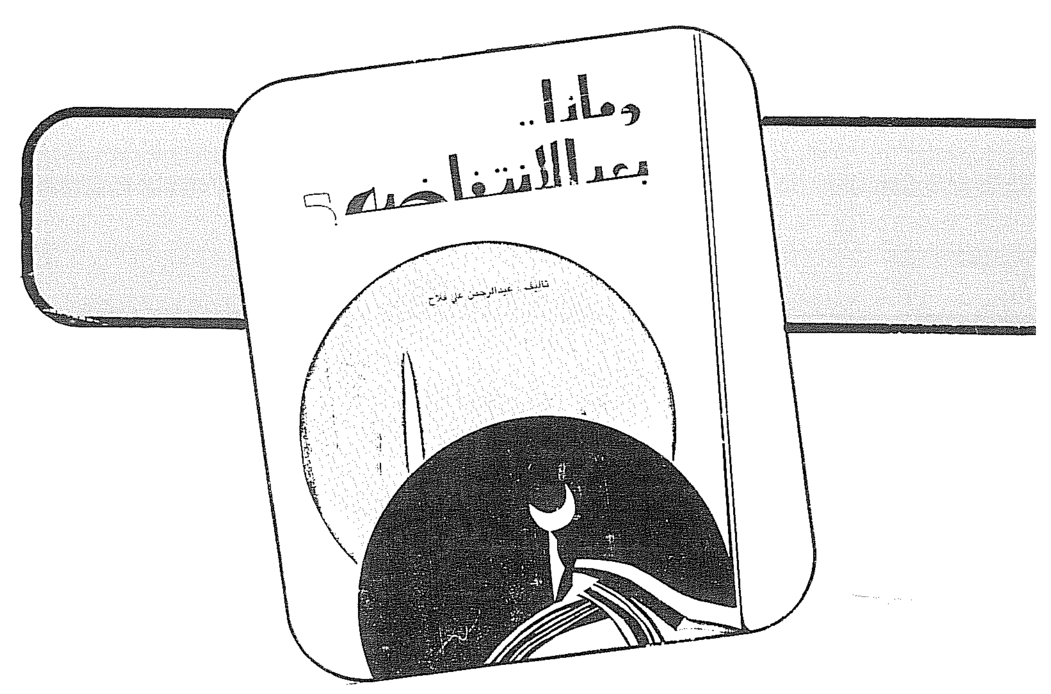
أولها: أن فلسطين اسلامية بداية ونهاية، وأن الخيار الوحيد المؤهل لإعادة فلسطين حرة عزيزة هو الخيار الإسلامي.

ثانيها: أن ألفاظ الخطاب للأطفال والنساء والشباب والشيوخ تؤكد إسلامية الغاية والوسيلة.

ثالثها: أن اسرائيل كدولة قامت على استثمار المشاعر الدينية عند اليهود، ولإزالتها لابد من استخدام نفس السلاح، فبسلاح الدين الاسلامي نعيد فلسطين.

رابعها: أن المسلمين أمة ومنهج ولا إنفصام بينهما.

خامسها: معلوم أننا بعدنا عن الشيء صغر حتى لا نكاد نراه، ومن هنا فإن قضية فلسطين صارت قضية تحرير الأراضي المحتلة في سنة ١٩٦٧،



ثم أصبحت أزمة الشرق الأوسط فاختفت القضية الحقيقية خلف ستار تحرير أراض عربية.

سادسها: أكذوبة أن جيش اسرائيل هو جيش الدفاع الاسرائيلي، بل هو جيش الهجوم الشرس على شعب أعزل من كل سلاح باستثناء سلاح الإيمان.

وبعد أن يوضح الكاتب هذه الحقائق في كتابه هذا يختمه بتساؤل ملّح وهو: وماذا بعد الانتفاضة؟ ثم يجيب على التساؤل قائلا:

على المسلمين والزعماء منهم خاصة أن يأخذوا الراية من أطفال الإسلام في فلسطين لا لينكسوها ولكن ليرفعوها عالية خفاقة، ليواصلوا المسيرة التي بدأها الاطفال والشباب والنساء بالحجارة ليواصلوا المسيرة الإسلامية بما يكنزون من أسلحة إذا أرادوا عزة ونصراً وغلبةً.

ويظل الجواب على : وماذا بعد الانتفاضة؟ مرهونا بعودة المسلمين حكاما وشعوبا إلى الإسلام والعمل بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وماذا بعد الانتفاضة ؟

سؤال ينتظر الجواب منا جميعاً بالدعم والمساندة.

الفتاوى

« اياكم والظلم »

زوج مواطن رمز إلى اسمه بالأحرف وبدأ رسالته بالثناء على عدد المجلة الممتاز قائلاً إنه فعلاً أكثر من ممتاز ثم طرح مشكلته بالشكوى من زوجته المتطرفة في الغيرة مع أنها في غاية الصلاح وتواظب على الحج والعبادة.

نشكر القارىء الكريم لمتابعته قراءة المجلة،نشكره والاخوة الذين وردت منهم رسائل الاعجاب والتقدير سائلين الله المزيد من التوفيق.

وبالنسبة لمشكلته المطروحة فهي مشكلة كثير من الأزواج والزوجات من قديم، على الزوج صاحب السؤال وأمثاله أن يواجه المشكلة بشيء من الصبر والتحمل، فالغيرة من طبيعة النساء والرجال على السواء والمرأة مهما كانت في قمة الصلاح ورجاحة العقل، قد تغلبها الغيرة إلى درجة الثورة على زوجها، وقليل من النساء من يستطيع المقاومة، ومعلوم أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت من أشد نساء النبي صلى الله عليه وسلم غيرة عليه، وإذا كان هذا شأن بعض امهات المؤمنين فما بال غيرهن من النساء؟ قد لا تسلم امرأة من ذلك وخاصة عند تعدد الزوجات. لايجوز للمرأة أن تسرف في الغيرة سواء كان ذلك لشدة الحب أو الشك، حتى لايتحول قلب الرجل عنها في النهاية وهو لا يحس في بيته بالرحمة والسكن، فكم اشعلت الغيرة نار الفتنة في بيوت كانت تنعم بالحب والاستقرار، كما لايجوز أن يدفعها الشك إلى مزالق الخطر، وعليها أن تعطي زوجها الثقة بقدر الامكان لتسلم من الضغط النفسي وثورة الاعصاب، ويسلم البيت كله من التمزق والضياع، عليها أن تقاوم قدر استطاعتها كل الوساوس والأوهام وتسلم الأمر إلى الله وعلى الزوج أن يصبر ويغفر حتى تهدأ العاصفة: **(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)** .

هذا وقد تشتد الغيرة من جانب الزوج فيحمله ذلك على ظلم زوجته أو

الشك فيها وهذا لا يجوز شرعاً وخاصة إذا كانت الزوجة بريئة محصنة فقد لعن الله من يرمي المحصنات الغافلات في كتابه الكريم.

حكم تقبيل يد الغير

أحد القراء من القاهرة أرسل كتاباً يسأل عن حكم تقبيل يد الغير هل هو مباح أم حرام؟

تقبيل اليد منه ما هو مباح ومنه ما هو محرّم، وذلك يرجع إلى النية والقصد فإن كان القصد حسناً ونبيلاً كان مباحاً، وإن كان سيئاً كان محرماً، فتقبيل يد من ترجى بركته لصلاحه وعلمه وورعه يعتبر جائزاً، وكذلك تقبيل يد الوالدين جائز براً بهما واعترافاً بفضلهما عليه، قال تعالى: « **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** ».

هذا ومن التقبيل المحرم تقبيل يد المرأة الأجنبية باسم التقاليد مجاراة لما هو مألوف في مجتمعات غربية وغير إسلامية، وتقبيل يد الرئيس نفاقاً وزلفى أيضاً غير جائز، وتقبيل من لاتحل له باسم التحية وتقاليد العائلة سواء كان التقبيل للخد أو اليد محرم شرعاً، فاعل ذلك والراضي به آثم ولاشك، ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة النساء لم يصافح امرأة، يجب الابتعاد عن مواطن التهم والشبهات، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم.

حول تحضير الأرواح

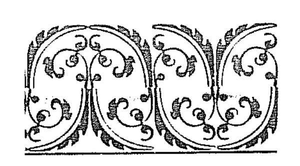
بعض الشباب يسأل عن موضوع تحضير الأرواح وعن إمكانية توصل العلماء إلى معرفة حقيقة الروح.

ما استطاع أحد أن يتوصل إلى معرفة حقيقة الروح، إذ هي من الغيب الذي لايعلم حقيقته إلا الله تعالى، وكل ما يعرف عن الروح أنها تحل في الجسم فتدب فيه الحياة والادراك والوعي والتفكير إلى غير ذلك من علامات الحياة، وأنها إذا فارقت الجسم يتحول إلى مادة هامدة لايحس ولايتحرك يفقد الحياة، والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت،وأنها تبقى ذات إدراك تسمع السلام عليها وتعرف من يزور قبر صاحبها، وتدرك النعيم والعذاب، حقيقة الروح يعلمها الله تعالى كما صرحت بذلك الآية الكريمة: «**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ».

ورد في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بناس من اليهود، فقالوا سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا ياأبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت فنزلت الآية ـ السابق ذكرها ـ .

وإذا كانت الروح لايعلم حقيقتها إلا الله فكيف يمكن السيطرة عليها واستحضارها؟! فلا مجال للاعتقاد بإمكان استحضارها وسؤالها وعقد جلسات بدعوى استحضارها كما يزعم بعض الناس.

وسماع بعض الأصوات في مثل هذه الجلسات كما يدعي ذلك بعض الحاضرين فلعلها أصوات الجن،ومعلوم أن الجن لا قدرة لهم على الاخبار بالغيب في المستقبل، وقد يمكنهم الاخبار بما وقع دون الاخبار بما سيقع مستقبلاً «**قل لا يعلم الغيب إلا الله** » الأولى بمثل هذه المجالس الاشتغال بما يعود بالخير على المسلمين.



قالت الصحف

الأقلية التركية المسلمة في بلغاريا

نشرت جريدة القبس الكويتية نقلا عن «دير شبيغل» في أحد أعدادها مؤخرا، حول معاناة المسلمين الأتراك في بلغاريا تقول:

تواجه تركيا واحدة من أشد الازمات وعلاقات متوترة مع جارتها بلغاريا وفي بداية الازمة رحبت السلطات التركية بالنازحين البلغار من أصل تركي، وتعهدت بإيوائهم وتسهيل معيشتهم، ولكن مع تزايد عدد الهاربين والنازحين القادمين الى تركيا، فإن هذه السلطات بدأت تمنع الألوف من أفراد الأقلية التركية المسلمة في بلغاريا من دخول أراضيها بعد أن أصبحوا يشكلون عبئا ثقيلا عليها في الوقت الذي وصلت فيه العلاقات التركية ـ البلغارية الى حالة خطيرة تنذر بنشوب حرب بينهما.

ومما يذكر أن النظام البلغاري الشيوعي أراد أن يفرض عليهم القوانين البلغارية بالقوة، وحتى تغيير أسمائهم التركية الأصل إلى أسماء بلغارية في محاولة لطمس وإلغاء الشخصية التركية الإسلامية وتغيير معتقداتهم الدينية.

لقد ترك حتى الآن أكثر من ثلاثمائة وعشرين ألف بلغاري تركي منازلهم وتخلوا عن أعمالهم، بعد أن وافقت السلطات التركية في بادىء الأمر على منحهم تصاريح دخول إلى أراضيها ليشكلوا بذلك ثاني أكبر عملية نزوح في أوروبا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعد عملية النزوح الكبرى من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، والتي بدأت تتجدد هذه الأيام هربا من النظام الشيوعي في ألمانيا الشرقية.

واللاجئون البلغار من أصل تركي، والذين يشكلون جزءا من الأقلية التركية البالغ عدد أفرادها أكثر من مليون شخص، كانوا يعتقدون بأنهم سيكونون موضع ترحيب لدى الحكومة التركية، وهذا الترحيب كان موجودا لدى بدء الأزمة ولكن السلطات التركية اخذت تتحدث عن الصعاب والأزمات التي تواجهها

تركيا نتيجة للتدفق الكبير من أفراد الأقلية التركية في بلغاريا إلى تركيا. وقال أوزال أن بلاده لا يمكن أن تقبل تحت أي ظرف من الظروف بأن تكون موضع تهديد أو مساومة من جانب بلغاريا، ودعا الحكومة البلغارية إلى التخلي عن سياستها العنصرية ضد أفراد الأقلية التركية.

من إفرازات الحرب الأهلية اللبنانية

نشرت جريدة «الوطن» الكويتية في أحد أعدادها مؤخرا، نقلا عن «الديلي تلغراف البريطانية»، ما نقتطف منه مايلي:

من الممكن أن تكون ضفاف نهر الأولي الوافرة الظلال مكانا ممتازا لخيمات الكشافة، إلا أن آلاف الناس الذي يخيمون هناك في ظروف سيئة لا يعملون ذلك لغرض التسلية. إنهم المهجرون اللبنانيون وهؤلاء هم أفقر الناس الذين هربوا من بيروت في الأسابيع الأخيرة هربا من القصف، وليس لهؤلاء مكان آخر ليذهبوا إليه.

التخييم كلمة راقية لما يفعله هؤلاء، لكنهم لا يملكون خياما. انهم ينامون ويعيشون على ضفة نهر حيث تقوم كل عائلة بعمل ساتر من شراشف حول بضع أمتار مربعة لتأمين نوع من الخصوصية.

تبدي هيئات الاغاثة العالمية قلقا مما سيحدث إذا حل الشتاء قبل أن يسمح وقف اطلاق النار لهؤلاء المهجرين بالعودة إلى بيوتهم.

تقول امرأة عجوز بأن الليالي أصبحت تزداد برودة ورطوبة وبعض الاطفال بدأوا يحسون بمغص في بطونهم من النوم على الأرض.

ومعظم هذه العائلات هي من المناطق المسلمة الفقيرة ذات الكثافة العالية من السكان في بيروت الغربية التي تأثرت كثيرا بالقصف. يقول وليد رجب «قدمت إلى هنا قبل شهر مع زوجتي وأبنائي الخمسة. لقد أصيب منزلنا بضرر من القصف وحاولنا العودة في الاسبوع الماضي لكن كان هناك قصف آخر وقتل أحد الجيران. لذلك هربنا من جديد».

لا يعرف أحد بالضبط عدد الناس الذين غادروا بيروت منذ تفجر القتال في شهر مارس الماضي. لكن هيئات اغاثة تقدر العدد بحدود ٥٠٠ ألف من بيروت الغربية و١٥٥ ألفا من بيروت الشرقية. ويقول مسؤولون في مدينة صيدا بأن حوالي ٦٠ ألف شخص تدفقوا على منطقتهم في موجات متلاحقة. ووجد الكثيرون منهم مأوى عند أقارب أو أصدقاء.

إلا أن حوالي عشرة آلاف التجأوا إلى المدارس وغيرها من الأبنية العامة أو أنهم يخيمون على طول نهري الأولي والزهراني وعلى الشواطىء المجاورة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض ـ الشركة السعودية للتوزيع
تلفون ٤٧٧٩٤٤٤
جدة ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٦٦٥٣٣٥٣
ص.ب: ١٣١٩٥
الدمام ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٨٢٧٢٥٧٥

سلطنة عمان : روى ـ ص.ب ٨٦٧٦ - هاتف ٧٩٦٦٣٦

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : دار المسيرة ص.ب: ٦٦٧٥ تلفون ٣٣٨٢٨٥

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

★ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت ٤٢١٤٦٨ .

نوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ...

وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

رواه مسلم

محمد أوزچاي ١٤١٠ هـ